الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي - جيجل -

كلية الآداب واللغات الأجنبية
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

دلائلية الطبيعة والحيوان
في قصة " حي بن يقظان" لابن طفيل

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي
تخصص: أدب قديم

إعداد الطالبتين:
- خديجة شالوش
- أميرة بومعيزة

إشراف الأستاذة:
- جميلة بورحلة

أعضاء لجنة المناقشة:

1 - أسماء دنايب ..... رئيسا
2 - جميلة بورحلة ..... مشرفا ومقررا
3 - عبد الحق مجيطنة ..... ممتحنا

السنة الجامعية: 1440/1439 هـ
الموافق لـ/ 2019/2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على

الحبيب المصطفى

سيدنا ونبينا وحبيبنا صلى الله عليه وسلم

أمّا بعد:

إن الاعتراف بالجميل لأهل الفضل واجب أكيد

بصدد إنجاز هذا العمل المتواضع نشكر الله سبحانه وتعالى

الذي وفقنا لإتمام هذا البحث، كما

نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير

والاحترام إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة

" جميلة بورحلة "

التي لم تبخل علينا بالنصح والتشجيع

وإلى

كل من ساعدنا في إنجاز هدا العمل من قريب أو من بعيد .

مقدمة

من بين ما زود الله عز وجل به الإنسان وميزه عن سائر مخلوقاته العقل والتفكير السليم الذي يستطيع بواسطته الألفة والائتلاف، والتعلم والارتقاء وقد هيأ الإسلام العقل المؤمن لينقل كل ما ينتجه الفكر البشري فيمثله ويضفي عليه بعض ما عنده من معطيات ومكونات ليقدم للبشرية صياغة جديدة بمنطلقات جديدة تتناسب مع روح الإسلام. ما جعل المنافسة بين الدين والفلسفة بلغت مبلغا كبيرا، واعتقد الفلاسفة المسلمون وحدة الحقيقة وتعدد طرق الوصول إليها، فكان العقل سبيلا لمعرفة الحق من جهة والدين كذلك وهما يسيران معا إلى نقطة نهائية واحدة.

وأصل هذا التنافس أن الفلسفة تدعي القدرة على هداية الإنسان وإرشاده، كما أنّ الدين يعد هذه وظيفته إلا أن أغلب جملة الناس تقديرها للدين ورجاله واحتقارهم للفلسفة ورجالها.

ومن هنا ذهب الفلاسفة في هذا الاتجاه للبحث عن علاقة الله بمخلوقاته وحقيقة الوجود والكون من خلال التأمل في الطبيعة وكل ما يحيط بها، ومن هؤلاء الفلاسفة نجد "ابن طفيل الأندلسي" الذي كتب آراءه الفلسفية وتأملاته الكونية في رسالته حي بن يقظان، وحول هذا الموضوع جاءت دراستنا الموسومة بعنوان: **"دلائلية الطبيعة والحيوان في قصة حي بن يقظان لابن طفيل"**، وتعد هذه الرسالة من أهم المرويات الأدبية الفلسفية، وهي قصة تجيب عن مجموعة من التساؤلات الفلسفية الإشراقية والمعرفة العقلية.

وقد اعتمد ابن طفيل على الأسلوب الأسطوري والفلسفي الرمزي الخيالي للإجابة عن أصل الوجود والعدم والحدوث والقدم والروح والجسد والله والطبيعة ليصل بعد ذلك إلى أعلى مرتبة، وهي مرتبة الزهد والتصوف والتي جسدها في شخصية "حي بن يقظان" البطل الإشكالي لتلك الإجابة.

ومن أجل تيسير سبل الإجابة حاولنا أن نسلط الضوء على مجموعة من الإشكاليات التي شكلت بؤر موضوع البحث، أما الرئيسية منها فتمحورت:

كيف تجسدت صور الحيوان والطبيعة في قصة حي بن يقظان؟ وهل هي ثابتة أم ذات فعالية في اكتساب الفكر العلمي والديني ؟

أما الفرعية فتمثلت:

- كيف أسهم ابن طفيل في إثراء الفكر الفلسفي الإسلامي؟

- ما هي العوامل المؤثرة في تشكيل فهم ابن طفيل للطبيعة والحيوان؟.

- وهل هي كافية لتحقيق المعرفة المادية وإدراك وحدانية الله عز وجل؟.

أما اختيارنا لهذا الموضوع فيعود إلى تلبية شغف ذاتي يحاول الغوص في دقائق معرفية شغلت تفكيرنا، ورغبة منا في نفض الغبار عن هذا الموروث، ومحاولة النهوض به وبث الحياة فيه من جديد. وإبراز قيمته المعرفية، وذلك من خلال عملنا هذا المتواضع الذي نأمل أن يكون قد سد ثغرة من الثغرات التي سببها النسيان، فإن وفقنا فذاك ما كنا نريد، وإن كان غير ذلك فالعصمة والكمال للكبير المتعالي.

والهدف من دراستنا يكمن في محاولة منا إضافة شيء جديد وإثراء الدراسات حول "حي بن يقظان".

وتكمن أهمية البحث في تبيان أراء ابن طفيل في أهم القضايا الفلسفية لكونها تخوض مجالا قل الباحثون فيه، على الرغم من ذيوع صيت الرسالة.

وقد اعتمدنا أثناء بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي كونه يتماشى مع خطة بحثنا، بحيث قمنا بتحليل نص الرسالة ومحاولة استخراج ما يرمز ويشير إليه كل عنصر يخدم دراستنا.

وللإجابة على التساؤلات والإشكالات السابقة قسمنا بحثنا إلى مدخل وفصلين وخاتمة وملحق، حيث حاولنا في المدخل تحديد نشأة وتطور الفلسفة الإسلامية والوقوف على حياة ابن طفيل وتأثيره في الفلسفة

وخصصنا الفصل الأول من البحث للحديث عن الطبيعة وتجلياتها في الأدب عبر العصور، وعند الفلاسفة، وفي القرآن الكريم، وكيف تجسدت في حي بن يقظان والذي مثل الجانب التطبيقي لهذا الفصل، وخصصنا الفصل الثاني لدراسة وتحليل الحيوان في حي بن يقظان، انطلاقا من جزء نظري اشتمل على الحيوان في القرآن الكريم والتراث العربي ، وختمنا بحثنا بخاتمة ذكرنا فيها أهم الاستنتاجات التي خلصت إليها هذه الدراسة.

وقد شملت مكتبة بحثنا على جملة من المصادر والمراجع لعل أهمها : "حي بن يقظان لابن طفيل" ، وكتاب عبد الحليم محمود بعنوان: "فلسفة ابن طفيل ورسالته حي بن يقظان"، وكتاب "دراسات في تاريخ الفلسفة العربية "لكامل محمود وغيرها.

وكأي بحث علمي لا يخلو بحثنا من عراقيل وصعوبات غير أنها لا تنحصر في ضيق الوقت وقلة المصادر والمراجع، وإنما في تشعب الموضوع وعمقه وجذوره الفلسفية المتضاربة مع الأدب، بالإضافة إلى نقص خبرتنا في هذا المجال.

في الأخير نتوجه بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة الدكتور "جميلة بورحلة" التي كانت سندا لنا بتوجيهنا ومساعدتنا على إتمام هذا البحث.

﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ ﴾ هود 88

مدخل

الفلسفة الإسلامية

أولا: نشأة و تطور الفلسفة الإسلامية.

1- الفكر العربي قبل الإسلام:

العرب كما حددهم عباس محمود العقاد في قوله: «هم أمة أقدم من اسمها الذي تعرف به اليوم لأنها على أرجح الأقوال أرومة الجنس السّامي الذي تفرع منها الكلدانيون والأشوريون والكنعانيون والعبرانيون، وسائر الأمم السّامية التي سكنت بين النهرين وفلسطين وما يحيط بفلسطين من بادية وحاضرة وقد تتصل بها الأمة الحبشية بصلة النسب القديم مع اختلاط بين الساميين والحاميين فهذه الأمم كلها تتكلم بفرع من فروع لغة واحدة هي أصل اللغات السّامية ...»[1]

كانت الصحراء العربية منذ القدم، كما هي اليوم،« مكان حل وترحال، تنتقل في أرجائه قبائل بدوية بعضها مستقل عن بعض، وكان هؤلاء البدو ينظرون بعقول سليمة طليقة من القيود، متأملين بيئتهم وحياتهم التي كانت تجري على نمط واحد، حيث كان الغزو والنهب أكبر مما يستهويهم، وحيث كانت الدخيرة العقلية عندهم ما تتوارثه القبيلة جيلا عن جيل».[2]

أجمع المتخصصون في تاريخ العرب القدامى على أن «العرب قبل الإسلام كانوا يعيشون حياة لا تعرف نظام الدولة ولا الحكومة المركزية، بل كانت حياتهم في قبائل شديدة التمسك بالعصبية إلى حد انتهى بهم إلى النزاع والصراع الدائم»[3]، من أجل الماء والكلأ وربما ثارت الحروب بينهم لأتفه الأسباب، كانوا منصرفين إلى كسب قوتهم والذود عن حياتهم، مما أبعدهم عن التفكير بفلسفة الحياة وتعليل مظاهر الكون وما وراء الوجود من ألغاز وأسوار.

---

[1]- عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوربية، دار المعارف، 1946، ص5.

[2]- ت.ج.دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبوريدة، دار النهضة العربية، ص15.

[3]- أميرة حلمي: الفكر الإسلامي وتراث اليونان، الهيئة المصرية العامة، 1996، ص7.

«البيئة البدوية للعرب كانت تتسم بالبساطة وعدم التعقيد مما ساعد على ترجيح كفة البداهة المعتمدة على العقل المفطور في الإنسان، كما كان العرب قبل الإسلام أمة تغلب عليهم البداوة ولا تظهر عليهم آثار الحضارة كما كانت تظهر في غيرها من الأمم المتحضرة.

وإن كان قد ذكر المؤرخون أن العرب قبل الإسلام كان لهم قليل من العلوم التي تعتمد في الغالب على العقل كعلم الأنساب، والنجوم والطب، وكان لبعض رجالهم خطرات فلسفية من الحكم والأمثال التي وردت في نثرهم وشعرهم».[1]

ومنهم من يؤكد أنه «كان في العرب حكماء وشعراء قاموا فيهم مقام الفلاسفة في الأمم المتحضرة يتفوهون بالحكم وتعد أقوالهم أمثالا تؤثر في خط الحياة، كالذي حكى عن "لقمان الحكيم"، و"أكثم بن صفى" و"زهير بن أبي سلمى"، وقد أثر في حياتهم وعقولهم ما وصل إليهم من تعاليم الأديان السابقة ولاسيما دين "إبراهيم الحنيف عليه السلام" واليهودية والنصرانية»[2].

وفي رأينا أن الأمر لم يقتصر على هؤلاء الذين ذكرهم "أحمد أمين" وغيره فهناك الكثير من العرب من يوضع في صفوف الفلاسفة ،لأن العقلية العربية برغم الظروف البيئية التي كانت تعيشها لا تقل عن أي عقلية أخرى من حيث الاستعداد لاستقبال الفكر، لكن لتطور الفكر وازدهاره عوامل إذا وجدت وجد الازدهار والنضوج، وأفضل دليل نستدل به على نضوج العقلية العربية قبل الإسلام و بأنها كانت عقلية لديها الاستعداد للبحث في الوجود بأنواعه وفي خالق هذا الوجود بمعنى لديها الاستعداد للبحث الحكيم أو البحث الفلسفي العميق.

[1] – الصاوي الصاوي أحمد: الفلسفة الإسلامية–مفهومها وأهميتها ونشأتها أهم قضاياها، دار النصر للتوزيع والنشر، 1998،ص39.

[2] – أس رابوبرت: مبادئ الفلسفة، ترجمة: أحمد أمين، دار المعارف للطباعة والنشر، ط2، بيروت، لبنان، ص81.

2-الفكر العربي بعد الإسلام

«لم يكن للعرب قبل الإسلام ما يمكن أن يطلق عليه المرء فكرا فلسفيا، فقد كانت لهم نظرات فلسفية متنافرة فيما خلفوه لنا من نثر وشعر، ولكنها كانت من فئات الطبع وخطرات الفكر، فلم يكن لديهم اهتمامهم بالتعليل أو محاربة التقليد والخرافات أو البحث عن العلاقة بين المقدمات والنتائج فيما كان منتشرا لديهم من آراء وأقاصيص لديهم معارف فلكية وطبيعية متصلة بمعارف الكلدانيين والصائبة، ومعارف طبية تجريبية مصحوبة بالرقي والغرائم والتهائم، وأساطير زاخرة بأخبار الجن والسعالي والغيلان والشياطين، وأمثال وحكم تدل على منازعهم العقلية، وشعر الزهد تغلب عليه العناصر الخلقية والروحية، ولكن ذلك كله لا يؤلف مذاهب فلسفية كاملة، لأن التفكير الفلسفي لم يبدأ عندهم إلا بظهور الإسلام.»[1]

انتقلت الفلسفة إلى العرب بعد الإسلام حين بعث فيهم هذا الدين الجديد حياة جديدة، ونقلهم من المرتبة القبلية المنحصرة في داخل جزيرة العرب إلى أفق الإنسانية الفسيح، وأصبح المسلمون دولة عظمى تمتد من أقصى الصين شرقا إلى أقصى الأندلس غربا، يدين كلهم أو معظمهم بالإسلام ويتكلمون بلسان واحد هو العربية وتسلم المسلمون راية الحضارة العالمية لعشرة قرون من الزمان وتبحروا في شتى العلوم والفنون والصناعات، وتأملوا في أصول هذه الأمور كلها وتعمقوها، فكانت الفلسفة كما قال الفرابي هي: «حكمة الحكم، وعلم العلوم، وأم العلوم».[2]

وقد كان حجر الأساس في بناء هذه الحضارة ونظرة الإسلام إلى الإنسان حيث جعله خليفة الله في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾سورة البقرة، الآية: 30، وفضله الله على جميع الكائنات وكرمه أعظم تكريم «وفضّلناهم على الكثير ممّن خلقنا تفضيلا»،سورة الإسراء، الآية: 70.

[1]- جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، 1973،ص15، 16.

[2]- أحمد فؤاد الأهواني: قضايا إسلامية الفلسفة الإسلامية، دط، ص5.

وسخر له هذا الكون ليفكر فيه ويتدبر آياته فأخذ لنفسه منه موقفا ايجابيا يعود عليه بالخير ولا يكون ذلك إلا بالعلم والدراسة والفهم، ولعل هذا التأمل في ملكوت الكون سوف يؤدي إلى الرقي المادي والروحي: قال الله تعالى:﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴿٥٣﴾﴾سورة فصلت، الآية:53.

ولم يبلغ الإنسان كل هذا التكريم الذي سما به فوق الكائنات إلا بالعقل الذي اختصه الله به وميزه على سائر المخلوقات، وقد عظم الإسلام العقل وعلى وجوب العمل به والرجوع إليه وأشار إليه في صيغ عديدة، فتارة بلفظ القلب أو الفؤاد وتارة في صيغة أفعال بلفظ المفرد أو الجمع مثل: يعقلون، يفقهون، يتفكرون، ينظرون، يعتبرون، يتدبرون وتارة في صيغة أولى الألباب، أولى الأبصار.

فقد أراد القرآن أن يعبر بذلك عن الوظائف العقلية التي أراد الله للعقل الإنساني أن يمارسها في هذا الوجود.

لم يكن القرآن الكريم مجرد مواعظ أخلاقية، أو تاريخا أنزل للعبرة عن قرون ماضية، وإنما هو كتاب"ميتافيزيقي" وإنساني وأخلاقي وعملي. وضع الخطوط الرئيسية للوجود كله، فهو كتاب الكون منذ نشأته إلى فنائه، فقد أعلى وحدة الله وفاعليته وأعلن فكرة الخلق من لاشيء وأنكر قدم المادة وأعلن حدوثها وحدوث العالم بأسره، وأكد كرامة الإنسان وقوة عقله وسلطانه على جميع الموجودات، واعتبره مسؤولا عن كل فعل من أفعاله وعن كل سكنة من سكناته،﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ سورة الزلزلة،الآية7-8.

«فوضع المسؤولية الفردية، سمة الحياة الحديثة، في أقوى أسلوب. وترك الإنسان بين الخير والشر يتردد بينهما ولكن اكتساب أحدهما بيده، والله بكليهما عالم، بعلمه القديم الذي لا يحد، ووضع الثواب والعقاب في عالم آخر غيبه عنا».[1]

[1]- على سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،ج1، دار المعارف، ط9، القاهرة، ص32.

«بالإضافة إلى هذه المبادئ والمعتقدات والقضايا التي أصبحت فيما بعد موضوعا خصبا لنقاش فلاسفة المسلمين وتفكيرهم، فقد تضمن القرآن الكريم كثيرا من القضايا الفكرية والفلسفية مثل تنزيه الله عن كل شبه ومدى اتصافه تعالى بصفات قديمة زائدة على ذاته العليا، والإيمان بالقضاء والقدر، وفكرة الجبر والاختيار في أفعال العباد وطبيعة الروح ومصيرها، إلى غير ذلك من القضايا العقائدية والفكرية التي تضمنها القرآن الكريم والتي أصبحت فيما مجالا للجدل الفكري والنقاش الفلسفي».[1]

وقد تضمنت السّنة النّبوية التي تعتبر الأصل أو المصدر الرئيسي الثاني للدعوة الإسلامية ملا يحصى من الأفكار والمبادئ التي أصحبت فيما بعد قضايا للتفكير الفلسفي. وكانت في مجموعها توضيحا وتفسيرا وتفصيلا لما تضمنه القرآن الكريم من الأفكار والمبادئ.[2]

لاشك إذن أن الإسلام أحدث تغييرا ثوريا في بنية الحياة الفكرية والتطور الفكري الملحوظ في جانبه الفلسفي على الأخص سببته بشكل أساسي إثارة القضايا الأساسية التي تضمنها القرآن الكريم والتي تطرقت بنوع خاص إلى وحدانية الله، وفكرة خلق العالم من لا شيء.. وقضية أصالة الإنسان والإقرار بالمسؤولية الفردية وقضية الثواب والعقاب في عالم الآخرة ومشكلة علاقة الإنسان بالرب وعلاقة الوحي بالإنسان هذه القضايا وغيرها هي التي تمحورت حولها المناقشات الفلسفية وهي التي سببت نشوء فرق كلامية في الإطار الإسلامي.[3]

ومما تقدم نجيز القول بأن القرآن الكريم والحديث الشريف كانا سببا في انبثاق الفكر العربي الإسلامي ودفعه إلى مستوى ملحوظ من مستويات الفكر الفلسفي الذي لامس المسائل الفلسفية دون أن ينشيء لنفسه حقلا في هذا المجال.[4]

---

[1]- عمر محمد التومي الشباني: صفحة في الفلسفة الإسلامية، الدار العربية للكتاب، ط3، ص50.

[2]- المرجع نفسه، ص53.

[3]- كامل حمود، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية، دار الفكر اللبناني، ط1،ص22.

[4]- المرجع نفسه، ص23.

3- الفلسفة الإسلامية (جذور النشأة)

يعتقد البعض أن الفلسفة الإسلامية ما هي إلا مجرد استمرار للفكرالفلسفي اليوناني وبأن المسلمين لم تكن لهم فلسفة خاصة بهم، بل ذهب آخرون بعيدا فعزا سبب ذلك إلى ضحالة العقلية الإسلامية وعجزها عن تعمق مشكلات الفكر والغور في المذاهب الفلسفية والإتيان بجديد يستحق أن يضاف إلى محصلة الفكر الإنساني ويرجع هؤلاء إلا أن الفلسفة اليونانية قد ملأت كل المنافذ الإبداعية الذين يأتون بعدها، وقد جاءت فلسفتهم متكاملة في تفسير الكون والإنسان المبدع الأول، ولم يبق للقادمين بعدهم إلا التفسير والشرح والتعليق على مسائلها وما كان دور المسلمين إلا واسطة نقل فقد أخذوا من الهلينيين والرومان والمسيحيين هذا التراث فسلموه بدورهم إلى فلاسفة القرون الوسطى فهم نقلة للعلم الفلسفي اليوناني ليس إلا، ولم تكن الفلسفة الإسلامية إلا نقلا لفلسفة اليونان من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية، فتكون هي فلسفة اليونان كتبت بلغة عربية.

ويرى فريق آخر ومنهم مستشرقون أن الفلسفة العربية الإسلامية نشأت في أحضان الثقافة العربية الإسلامية التي تمثلت في القرآن، وفي العلوم العربية، ولقد ساهم فيها عرب ومسلمون. صحيح أن العقل العربي قبل الإسلام لم يحمل أي بذور تصلح للتطور، إلا أن العرب بعد حملهم الرسالة السماوية ونشرها، كانت لهم بذور فلسفية تأتت من انفتاح عقولهم على العالم، ولو تتبعنا موضوعات التفكير الكلامي في أول نشأته عند المسلمين، فإننا نجدها موضوعات إسلامية بحتة يدور الجدل فيها، إما في مواجهة المنحرفين والمعترضين على الدين أو في مواجهة التزمت السيء. والتزام حرفية النصوص الدينية أو التحجر الفقهي، ولا يمكن أن تغزو الفلسفة الإسلامية كونها تدور حول مشكلات الدين الأساسية كالتوحيد والخلق والمعاد فحسب. فإن صح ذلك على علم الكلام فإنه لا يمكن أن ينسحب على مجمل الإنتاج الفلسفي عند المسلمين.

صحيح أنهم تلقوا من الخارج مجموعة مضطربة وتلفيقية من تيارات الفكر الفلسفي، لكنهم حاولوا التوفيق بينها وبين الدين، كما فعل "ابن رشد"، كما أن لهم مواقف فلسفية خاصة تميزت بحلول مبتكرة ذات طابع فكري حر وجاءت متأثرة بالمناخ العقلي الإسلامي.[1]

ولقد انبرى بعض المستشرقين من أمثال "دوجا" للدفاع عن العقلية العربية الإسلامية، وقد اثبت أن المسلمين عارضوا أرسطو، وكونوا فلسفة بها عناصر مختلفة عما كان يدرس بالمدرسة المشائية، وذكر أن عقلية كعقلية "ابن سينا" لا يمكن أن تنتج جديدا وطريقا في ميدان الفكر، وأن آراء المعتزلة والأشاعرة ليست سوى ثمار يانعة من آثار العقل العربي الإسلامي[2].

ومن المفكرين القدامى الذين انصفوا العرب والمسلمين "الشهرستاني" صاحب كتاب "الملل والنحل" الذي يشير إلى وجود نوع أولي من الحكمة عند العرب في الجاهلية يتمثل في الحكم القصيرة والأمثال المركزة.

ويعقد الشهرستاني مقارنة بين العرب والهنود ويتوصل إلى أن هذين الشعبيين يتشابهان في ميل كل منهما إلى تقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات.[3]

وقد برع فلاسفة الإسلام في تناول الفلسفة اليونانية وصارت لهم فلسفة خالفوا فيها كثيرا من آراء المعلم الأول "أرسطو"، وخلاصة القول أن الفلسفة الإسلامية ظهرت مع ظهور القرآن الكريم، ولا يمكن أن تنكر على العرب في الجاهلية خلدهم من التفكير المعقد. فلقد أتت إلينا نصوص في الحكمة، والأمثال وتكهنات كلامية كانت سائدة في المجتمع الجاهلي، إلا أن أسس الفلسفة الإسلامية ترسخت بعد نزول القرآن الكريم ذلك أنه نشأ من طول معاناة علوم القرآن الكريم والحديث علم إسلامي أصيل هو علم أصول الفقه.[4]

[1]- يوردي يورا: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، ص102.

[2]- محمد علي أبو ريان: بين الغزالي وديكارت، بحث في مجلة الشرق الجديد، 1964.

[3]- كتاب الملل والنحل للشهرستاني، ص235 .

[4]- الشيخ مصطفى عبد الرزاق: تمهيد لتاريخ الفلسفة، القاهرة، ص146.

والذي أظهر المذاهب الكلامية، وجاءت الفلسفة اليونانية، لكي تجد الأرض خصبة وتجد عقلا فلسفيا اكتملت لديه جميع أسباب النظر الفلسفي من خلال النظر في مسائل الفقه واقضيته وقياساته، فلم يكن تيار الفلسفة اليونانية سوى رافد اندفع ليلتقي مع المجرى الكبير وحتمية التأثير الثقافي المتبادل كنتيجة للتجاور المكاني والتماس الحضاري في هذه المنطقة. وما إقبال المسلمين على التراث اليوناني استعراض لقضاياه مقارنة بأسلوب المتعلم. فرفضوا ما يتعارض منه مع الدين وقبلوا مالا يناقض العقيدة ويتلخص الوقف في أن المسلمين قد تدرجوا في طلب المعرفة منذ بداية عهدهم بالتحضر، فأقبلوا في صدور الإسلام على علوم القرآن والسنة، وحدقوا في مباحثها وتطرقوا إلى الأحكام الفقهية وإلى مناقشة قضايا الدين . نشأ علم الفقه وكذا نشأ علم الكلام. ثم تعمق المسلمون في مشكلات وأحكام الدين، فنشأ علم أصول الفقه، وكذلك توصل المسلمون بدون عون خارجي إلى استنباط الأحكام الفقهية وبلغوا في كل مبلغ الكمال والنضج ثم طلبوا في هذا الطور من حياتهم فلسفة اليونان، فترجمت لهم واقبلوا على دراستها وتفهم مشاكلها محاولين التوفيق بينها وبين الدين، فهم لم يطلبوا الفلسفة إلا في فترة كانوا قد وصلوا فيها من الناحية العقلية إلى مستوى هذا التراث الفلسفي وإلا فكيف لهم التعامل مع هذه الفلسفة العميقة إذ لم يكونوا بمكانة من النضج العقلي وقدرة الاستيعاب والتمييز.

وفي النهاية فإن المسلمين مثل غيرهم من الشعوب قد مروا بأدوار تصاعدية للنضج العقلي، فاليونان والهند والفرس مروا بهذه الأدوار حتى وصلوا إلى ما هم عليه، وأن التبادل الحضارات هو شيء طبيعي.

ثانيا– ابن طفيل الأندلسي

1– نسبه ومولده : هو ابو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسى[1]، ولد سنة 500 هجرية الموافق 1106 ميلادية في وادي آش قرب غرناطة.

2– نشأته العلمية: تهمل كتب التاريخ جوانب كثيرة من حياة ابن طفيل إلا أنه قضى أكثر أيام حياته الأولى يدرس ويداوي النّاس، ثم اشتغل كحاجب في غرناطة، أي كوزير في حكومة غرناطة[2]، ثم كاتم أسرار لدى الأمير أبي سعيد حاكم طنجة وهو أحد اولاد عبد المؤمن، ثم يمضي التاريخ سريعا فيضعنا امام ابن طفيل طبيب ابي يعقوب يوسف صاحب المغرب بل صديقه ووزيره، وقد قويت الصلة بين الفيلسوف وأبي يعقوب [3]، وقد قرأ على جماعة من المتحققين بعلم الفلسفة، منهم أبو بكر بن الصائغ المعروف عندنا بابن باجة [4]، واننا لا ندري شيئا عن الأساتذة الذين تلقى عليهم العلم، ولا عن البلاد التي تعلم فيها، ولكن يمكن الترجيح بأنه بالنسبة لهذه البلاد، فان قرطبة تأتي في المقدمة وبعدها اشبيلية ونقصد من ذلك انه ربما يكون قد التقى بعلماء من هذه البلدان [5]، وقد عاش ابن طفيل في رحاب الملك أبي يعقوب عيشة هادئة مطمئنة، وكان فيها الطبيب، وكان فيها المستشار العلمي ، وهو الذي حفزابن رشد تحقيقا لرغبة أبي يعقوب على العمل العظيم الذي قام به من تلخيص كتب ارسطو وشرحها[6]، ولما قتل السلطان أبي يعقوب يوسف في الحرب الافرنج بالأندلس سنة 580 هجرية الموافق ل 1184 ميلادية وخلفه ابنه ابو يوسف يعقوب المنصور ظل ابن طفيل يتمتع بالحظوة في بلاد الموحدين[7].

---

[1]– عبد الحميد محمود: فلسفة ابن طفيل ورسالته(حي ابن يقظان)، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، مصر، 1991،ص9.

[2]– مصطفى غالب: ابن طفيل ، منشورات مكتبة الهلال، مصر ، 1991 ،ص13.

[3]– عبد الحليم محمود: فلسفة ابن طفيل ورسالته حي ابن يقظان ،ص9.

[4]– ابو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصيرية، ط1، لبنان، 2006/1426م، ص186.

[5]– عاطف العراقي: الميتافيزيقيا في فلسفة ابن طفيل، دار المعارف، ط1،مصر، 1975 ، ص35.

[6]– عبد الحليم محمود: فلسفة ابن طفيل ورسالته حي بن يقظان، ص10.

[7]– مصطفى غالب : ابن طفيل، ص14.

3- مؤلفاته:

«لم يعرف لابن طفيل إلا رسالة حي بن يقظان، مع أنه تنسب اليه آراء في الفلك»،[1] ويقول عنه عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب في تلخيص أخبار المغرب: «ورأيت لأبي بكر هذا تصانيف في أنواع الفلسفة منها الطبيعيات والالهيات وغير ذلك، فمن رسائله في الطبيعيات رسالة سماها "حي بن يقظان" غرضه فيها بيان مبدأ النوع الانساني على مذهبهم، وهي رسالة لطيفة الجرم كبيرة الفائدة في ذلك الفن، ومن تصانيفه في الالهيات رسالة في النفس رأيتها بخطه رحمه الله، وكان قد صرف عنايته في آخر عمره إلى العلم الالهي ونبذ ما سواه، وكان حريصا وعلى الجمع بين الحكمة والشريعة، معظما لأمر النبوات ظاهر وباطنا، هذا ما اتساع في العلوم الإسلامية[2].»

ويذكر التاريخ كذلك أن «ابن طفيل صنف في الطب كتابا، وأنه كانت له آراء مبتكرة في الفلك، وقد ذكر البطروجي أنه أخذ قوله في الدوائر الخارجية والدوائر الداخلية مع ابن طفيل.»[3]

[1]- أحمد أمين: ظهر الاسلام: ج3، دار الأصالة، الجزائر، 2010، ص185.

[2]- عبد الواحد ابن علي المراكشي: المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص176-177.

[3]- مصطفى غالب: ابن طفيل، ص14.

4-تأثيره في الفلسفة :

يتحدث الكثيرون ممن درسوا ابن طفيل عن صلته بالفلاسفة، فيزعم بعضهم أنه تأثر بابن باجة، بينما يذهب آخرون إلى تأثره بالفارابي، ويزعم آخرون انه كان التلميذ المخلص لابن سينا، بل انه في رأيهم قد أخذ عن ابن سينا كل شيء حتى أسماء أبطال قصته، ويزعم آخرون أنه كان متأثرا بالغزالي، ووصل بهم الأمر إلى الزعم بأنه تأثر بالفرس وبالهنود فضلا عن اليونان[1]، ويعتمد ابن طفيل في قصته "حي بن يقظان" إلى توجيه النقد إلى بعض الفلاسفة الذين تقدموه كالفيلسوف المعروف ابن الصائغ وابن سينا، وقد أشار إلى ذلك أحمد أمين فقال:« بدأ ابن طفيل في انتقاد بعض الفلاسفة قبله، فبدأ بنقد الفيلسوف المشهور ابن الصائغ و هو فيلسوف عالم في الطب والفلك والطبيعة والرياضة واشتهر بالالحاد، فتألبت عليه الحكومة والشعب، وكان أول من أذاع العلوم الفلسفية في الأندلس، وقد كتب شروحا كثيرة على بعض مؤلفات أرسطو، وصنف كتبا عديدة، ورماه ابن طفيل بالقصور في التفكير، ووقوفه في الفلسفة عند حد، كما نقده في توجهه للفلسفة المبنية على المنطق والعقل، دون المبنية على الكشف والذوق ونقد الفارابي بأنه كثير الشكوك، قليل البث في المشاكل الفلسفية »[2]، ويشير كذلك ابن طفيل من خلال ذكره للفيلسوف اليوناني أرسطو اذ «يقول ابن طفيل بان ابن سينا قد تكفل بالتعبيرعما في كتب أرسطو طاليس وجرى كذلك على مذهبه وسلك طريق فلسفته في كتاب "الشفاء"، ويذكر ابن طفيل عن ابن سينا قوله بأنه ألف كتاب الشفاء على طريقة المشائين، أما من أراد الحق فعليه بكتاب الفلسفة المشرقية، كما يذهب ابن طفيل إلى المقارنة بين كتاب الشفاء وبين ما كتب أرسطو، يظهر له اتفاق الفيلسوفين في أكثر الأمور، وان كان في كتاب الشفاء كما يرى ابن طفيل اشياء لم تبلغ الينا عن أرسطو؟، وهذا القول من جانب ابن طفيل يعد إلى حد كبير فكتاب الشفاء فيه متابعة لأرسطو في كثير من الجوانب، وان كنا نجد فيه بالاضافة إلى

[1]- عبد الحليم محمود: فلسفة ابن طفيل ورسالته حي ابن يقظان ، ص17.

[2]- مصطفى غالب: ابن طفيل، ص41-42.

العناصر الأرسطية، عناصر أفلاطونية وعناصر أفلوكينية وهذه العناصر نجدها في تفسيرات ابن سينا لمجالات الفلسفة الطبيعية كالحركة والزمان والمكان وغيرها من مجالات نجد فيها مزجا بين هذه العناصر اليونانية بألغظافة نتيجة تأثره بعناصر أخرى اسلامية وغير اسلامية»[1]، ويرى ابن طفيل أن «كتب ابي حامد الغزالي بحسب مخاطبته للجمهور تربط في موضع وتحل في موضع آخر وتكفر بأشياء تم تحللها، ويضرب ابن طفيل مثالا على هذا التردد والتخبط عند الغزالي برأيه في مشكلة الخلود فالغزالي قد كفر الفلاسفة في كتابه"تهافت الفلاسفة" حين اعتقدوا بالخلود النفساني أو الروحاني دون الجسماني، بحيث أثبتوا أن الثواب والعقاب انما يكون في رأيهم للنفوس خاصة في حين أنه قال في أول كتاب "الميزان" فيما يروي ابن طفيل، أن هذا الاعتقاد هو اعتقاد شيوخ الصوفية على القطع، ثم قال في كتاب المنقذ من الضلال ان اعتقاده هو كاعتقاد الصوفية، وان أمره انما وقف عليه بعد طول البحث.

ويرى ابن طفيل أن هذا التردد من جانب الغزالي، يوجد الكثير منه في كتبه، وذلك اذا تصفحناها وتأملنا فيها[2].» وأما ابن باجة في نظر ابن طفيل «فلم يكن من أهل الأندلس أثقب منه ذهنا، ولا أصح نظرا ولا أصدق روية ولكنه خيب رأيه ايضا قد شغلته الدنيا حتى اختارته المنية قبل ظهور خزائن علمه وبث خفايا حكمته، كابن باجة يحث على الاستكثار من المال، والجمع له، وتصريف وجوه الحيل في اكتسابه، وهذا صارف في رأي ابن طفيل عن مواصلة المعرفة والوصول فيها إلى المراتب العليا: مراتب أولى الصدق على حد تعبيره، ولذلك وصل ابن باجة إلى رتبة أهل النظر فقط، وصل إلى رتبة ينتهي اليها بطريق العلم النظري والبحث الفكري، ولم يتخطاها، انها المرحلة الاولى، ولكنها ليست الأخيرة، وهذه المرحلة الأخيرة مرحلة أهل الولاية هي كل هم ابن طفيل، واذا كان ابن طفيل يرى أن مرحلة النظر العقلية هذه قد تصل بالإنسان إلى الصواب في الرأي وأن ابن باجة قد حقق هذا

[1]- عاطف العراقي: الميتافيزيقيا في فلسفة ابن طفيل، ص48-49.

[2]- المرجع نفسه: ص51.

المنحى فانه مع ذلك يرى أنها مرحلة بدائية، قيل أنه رفض العقل هو أساس هذا المنحنى من المعرفة»[1]، وهذا هو المنهج الذي سار عليه ابن طفيل وهو يختلف فيه عنه ابن سينا والغزالي وابن باجة ويختلف ايضا عن أرسطو وأفلاطون، إنه ليس بمقلد فيه، «وإذا قلنا أنه تأثر بغيره فأنه متأثر كتأثر أفلاطون بمن سبقه وتأثر أرسطو بمن تقدموه»[2].

ويتبين لنا من هذا كله مدى معرفة ابن طفيل بآراء عديدة من المفكرين والفلاسفة الذين سبقوه، سواء عاشوا في المشرق أو المغرب العربي، أي في البلاد التي عاش فيها فيلسوفنا، ابن طفيل، كما اتضح لنا أن ابن طفيل في نقده لآراء الفلاسفة والمفكرين الذين سبقوه، كان مهتما أساسا بالموضوعات والمشكلات الميتافيزيقية التي بحث فيها هؤلاء الفلاسفة، وكذلك سنجده يعود مرة أخرى بعد نقده، إلى دراسة هذه الموضوعات ذات المحاور الميتافيزيقية.

«ويبدو أن هذا لا يعني ان دور النقد عند ابن طفيل، كان متمثلا فقط في موقفه من فلاسفة ومفكرين سبقوه، اذا أننا سنجد الكثير من المواقف النقدية التي تميز فكر هذا الفيلسوف ومنهجه، وكيف تسري هذه المواقف في قصته الفلسفية من أولها حتى آخرها وخاصة ما تعلق منها بمجال الميتافيزيقيا».[3]

5–وفاته:

وافته المنية بعد وفاة ابي يعقوب بسنة واحدة [4] في مراكش سنة 581 هجرية الموافق ل1185 ميلادية[5].

[1]– عبد الحميد محمود: فلسفة ابن طفيل ورسالته حي ابن يقضان، ص17–18 .

[2]– المرجع نفسه: ص22.

[3]– عاطف العراقي: الميتافيزيقيا في فلسفة ابن طفيل، ص63.

[4]– عبد الحليم محمود: فلسفة ابن طفيل ورسالته حي ابن يقظان، ص13.

[5]– مصطفى غالب: ابن طفيل، ص14.

الفصل الأول

الطبيعة

تمهيد:

إن الحديث عن الطبيعة بالضرورة هو التأمل و التفكير في أسرار الكون وعوالمه، فالمتأمل والمفكر في هذه الطبيعة يجد عظمة وقدرة الله في الإبداع والخلق، فالطبيعة بكل ما تحتويه من مياه ومحيطات أنهار، ونباتات وحيوانات تشكل عناصر مهمة في هذا التشكل الإلاهي العظيم، إن كل هذا ما هو إلا دليل على قدرة وعظمة الخالق، فالطبيعة هي سر بقاء الحياة، فلولا عناصر الطبيعة التي سخرها الله تعالى للناس لما كانت هناك حياة.

لا يقتصر وصف الطبيعة في الأشياء الموجودة في ظاهرها وإنما في التفرغ والتأمل ومراقبة أدق الأشياء الموجودة التي تحتويها الطبيعة في كيانها، فمهما قمنا بوصف هذه الطبيعة فلا نوفي حقها لأنها أعظم بكثير من ذلك الوصف وأبقى لأنها لا تنتهي بل تتغير وتتبدل في كل مرة لكي تعطينا صورة أفضل وأعمق من قبل، وللحديث عن الطبيعة لابد من التطرق وللحديث عن الطبيعة لابد من التطرق والحديث عن مصطلح الطبيعة التي تحتل الصدارة في الكون والتي كانت متشعبة الأفق في مدلولها المعرفي. «فنجد لفظ الطبيعة هو مدلول عام الذي يتمثل في جملة الموجودات المادية بقوانينها أي: من الأجرام السابحة فوق رؤوسنا، والأجسام المضطربة من حولنا، وهذه الدلالة تزيد على الأجسام بعضها ببعض معنى إتصاف الكل النظام والجمال».[1]

ومن هنا يتضح لنا أن الطبيعة هي تلك المدلول على الأشياء المادية الموجودة حولنا، وبهذا تكون الطبيعة هي التي اختصت بكل ما هو موجود سواء كان صامتا أو حيا.

[1]- يوسف كرم: الطبيعة وما بعد الطبيعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2014م، ص15.

أولا: الطبيعة في القرآن الكريم

إن الطبيعة خاضعة لقوانين عامة، يمكن كشفها بوسائل المعرفة من حس وعقل، وقد أمر الله عز وجل النظر في مكونات الطبيعة والتدبر فيها فيقول فيها عز وجل في ذلك﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾. (سورة الغاشية) الآية17، 20.

لقد تناول القرآن الكريم الطبيعة في كثير من آياته الكريمة حيث عرض الظواهر الطبيعية، وهذا دليل على قدرة الله تعالى، ودلالة على خلق الخالق والقرآن الكريم معجز في إشاراته العديدة إلى الكون ومكوناته وجميع مظاهره فهو يشير في كثير من آياته إلى الكون ومكوناته، وقد جاءت في كثير من الآيات الصريحة وقد تجلت آيات الطبيعة في القرآن الكريم على مستويات فالمستوى الأول يتمثل في العناصر الطبيعية الأساسية : الأرض، السماء، الماء النار والريح، والمستوى الثاني يتمثل في: النباتات والحيوانات بكون الطبيعة على نوعين صامتة ومتحركة.

والقرآن الكريم يتناول المشاهد الطبيعية والكونية باستمرار وإن الداعي من التأمل في الطبيعة إنما لأغراض معينة ومن أهمها دلالة على وجود الله، ودلالة على قدرته وعظمته ودلالة على ربوبيته أو تذكير بنعم الله على الإنسان أو لدلالة على وجود علاقة بين الطبيعة والإنسان هو الدليل على التسخير له.

ومن الآيات الدالة على خلق الله في الأرض نجد في قوله تعالى:﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ سورة البقرة، الآية 164.

وهذه مشاهد حية من الطبيعة في خلق الكون وتعاقب الليل والنهار.

كما نجد أيضا آيات جامعة لمكونات الطبيعة فمن هذه الآيات التي حصرت عناصر البيئة ومكوناتها بدقة وشمولية قول الله تعالى:﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾(طه، الآية6).

فهنا يتضح أن ما بين السماوات والأرض يستدل على البيئة الطبيعية التي تشمل الأرض، الشمس، الحرارة والرياح والرطوبة والسحاب والأمطار، أما قوله تحت الثرى فيقصد بها المكونات الموجودة في باطن الأرض.

كما نجد لذكر الماء النصيب الكبير في هذا الذكر الحكيم لأن الماء من أهم عناصر الطبيعة، لأن الماء أصل الحياة وقد أكد ذلك في قوله تعالى:﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ۝٣٠﴾ (الأنبياء،30) ، ونجد كذلك في قوله تعالى :﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ۝٥٤﴾.(الفرقان، 54) ، ومن سياقات أخرى يتحدث القرآن عن مصدر الماء فيقول:﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٩٩﴾ (الأنعام، 99).

وقال تعالى:﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝١٨﴾(المؤمنون، الآية: 18).

وقال أيضا:﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ۝١١﴾ (الزخرف الآية: 11).

ومن هنا يتضح لنا أن الماء نعمة الله على البشرية والكائنات أجمعين وكما ورد أنه نعمة فقد كان مصدر هلاك أيضا بالنسبة لبعض الشعوب السابقة التي أغرقهم الله تعالى من مثل قوم نوح في قوله تعالى:﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ۝٣٧﴾ (الفرقان،37).

وكذلك آل فرعون لما كذبوا موسى، حيث ذكر الله تعالى:﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٠﴾ (البقرة الآية: 50).

1- البحار والأنهار:

من عناصر البيئة الهامة التي تحفظ الماء وترشد استخدامه بما ينفع الناس .....البحار والمحيطات التي امتن الله تعالى على عباده بتسخيرها لهم، حيث ذكر أن من وظائفها:

الصيد واستخراج الحلي والزينة وذلك كما ورد في قوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤﴾ (النحل، 14).

إن البحر يعد من أهم وسائل التنقل من خلال الفلك والسفن التي تجري فيه، وقد جعل الله تعالى من مظاهر تكريمه للإنسان جعله في البر والبحر، حيث قال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ (الإسراء، 70).

وقال أيضا عز وجل في آياته البيّنات:﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢﴾.(إبراهيم، 32).

بالإضافة لما سبق يعد البحر مصدر رزق للكثير من الناس، حيث قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾.(الجاثية، 12).

2- السحب والمطر:

من عناصر البيئة المرتبطة بالماء تلك السحب التي تحمل الماء ثم تنزله على الأرض أمطارا فيشرب النّاس والأنعام وقد ورد ذكر الرياح في القرآن كثيرا من باب الامتنان على الخلق منها قوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ

ٱلرِّيَـٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾. (الأعراف،57).

يعد المطر مصدرا ممن مصادر المياه، حيث قال عز وجل:﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢﴾(الحجر،22).

كما يقول أيضا في هذا الصدد قوله تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣﴾ (النور،43).

3- الرعد والبرق:

من الظواهر الطبيعية التي تصاحب نزول المطر إلى الأرض : الرعد والبرق، والبرق عبارة عن وميض من الضوء الذي يحدث نتيجة عمليات الشحن الكهربائية في الغلاف الجوي، وتتخذ عواصف الرعد والبرق أدوارها في سحب وسقوط المطر.

والرعد والبرق من الظواهر الطبيعية التي تثير الرهبة والخشية في قلوب البشر، ورغم هذا فقد ذكرها في سياق التسبيح في قوله تعالى:﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ (الرعد، 13).

4- الجبال:

تعد الجبال من العناصر البيئية الهامة التي ذكرت بلفظها في أكثر من ثلاثين وضعا في القرآن، وفي قوله تعالى:﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧﴾ (النبأ،6-7).

وهنا يتضح لنا جليا أن من وظيفة الجبال هي عبارة عن أوتاد والتي تحفظ اتزان الأرض واتساقها وقد أكد هذا القرآن على هذا المعنى في آيات كثيرة عبر مواضع كثيرة منها بلفظ الرواسي في قوله تعالى﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأنبياء،31).

يعد تنوع الجبال وتعددها واختلاف ألوانها نوعا من الزينة في الأرض ودلالة على قدرة الخالق جل وعلا، ويستفاد هذا من اختلاف ألوان الجبال في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾ ﴾ (فاطر،27).

كما نجد من وظائف الجبال أنها تساهم في تشكل الغيوم وإنزال المطر بين شكلها الانسيابي، ولذلك ربط القرآن في كثير من الآيات بين الجبال والأمطار والمياه والأنهار، من ذلك قوله تعالى :﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾(الرعد،3)

وقوله تعالى:﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءً فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾ ﴾.(المرسلات، 27).

ومن هنا يتضح بأن القرآن الكريم قد أورد الطبيعة بمختلف عناصرها ومكوناتها في آياته وتجلى ذلك الذكر الحكيم في وصف هذه الطبيعة وذلك لأغراض عديدة متأملا ومتدبرا ومفكرا في جمال وخلق تلك الطبيعة الجبارة للوصول إلى حقيقة الكون والوجود والوصول إلى الدرجة الأعلى من الوصول إلى خالق هذا الكون والتدبر في خلقه المتمثل والمتجلي في هذه الطبيعة.

ثانيا: الطبيعة في الفلسفة اليونانية

لقد كان للطبيعة الحظ الكبير عند الفلاسفة اليونانيين، وذلك من خلال اعتمادها في أساطيرهم السابقة بحيث اعتبروا بأن الطبيعة هي الأصل في خلق هذا الكون وإبداعه بحيث كان يعتقدون ذلك بصلة مقطوعة تماما وأصبح بذلك لكل عنصر من عناصر الطبيعة اله يقومون باتخاذه اله لهم ومن بين هذه الإله اله النار والماء والشراب والهواء والرياح والرعد والبرق والمطر، وهذا دليل على أهمية الطبيعة في حياة هؤلاء وإن الطبيعة اليونانية هي طبيعة لها حضور قوي واضح في تصوراتهم، أتاح للإنسان أن يتصل بها ويقيم معها علاقة نشيطة باعتبارها الوسيلة التي تتيح له التعبير عن ما هو موجود وما يحيط به من كونية وقد تفنن الفلاسفة في تبني فكرة الطبيعة ومحاراتها في أفكارهم وخلاجاتهم العقلية، بحيث حازت الطبيعة على جل تأملاتهم العقلية والحسية والتجريبية، ونجد من مثل هؤلاء سقراط وأفلاطون، وأرسطو طاليس، وغيرهم من مثل هؤلاء الفلاسفة.

1- الطبيعة عند أفلاطون:

«إن كل شيء عند أفلاطون إله أو الهي المثل ومثال الخير ومثال الجمال والصانع والنموذج الحي بالذات، ولم يقرب أفلاطون بينهم، بل تركهم متفرقين، والنفس العالمية والجزء الناطق من النفس الإنسانية، وآلهة الكواكب والهة الجن والأولمب».[1]

2- الطبيعة عند أرسطو طاليس:

إن طاليس وضع المسألة الطبيعية وضعا نظريا بعد محاولات الشعراء واللاهوتين فشق للفلسفة طريقها فبدأت باسمه قال:«إن الماء هو المادة الأولى والجوهر الأوحد التي تتكون منه الأشياء، وكان هذا القول مألوف عند الأولين...وفي البدء قبل إن تسمى السماء، وأن يعرف للأرض اسم كان المحيط وكان البحر وجاء في قصة مصرية في البدء كان المحيط المظلم أو الماء الأول حيث كان آتون الإله وحده الأول صانع الآلهة والبر والأشياء».[2]

[1] - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د ط، القاهرة، مصر، 2012، ص 26، 27.

[2] - المرجع نفسه، ص 107.

ومن هنا يتضح بأن الفلاسفة قد اعتمدوا في تعظيم الطبيعة وتركيزهم عليه لأنه تشكل جزء من تاريخ، وتعد البدايات الأولى لتشكل الكون في معتقداتهم.

ثالثا: الطبيعة في الشعر:

1-الطبيعة في العصر الجاهلي:

إن الطبيعة ليست موضوعا جديدا عند العرب إنما هي قديمة قدم وجود الإنسان وتعد الطبيعة رافدا عميقا من روافد التجربة الإنسانية، وتعد أيضا من أهم مصادر الإبداع الفني والمعرفة والتصوير وقد تجسد هذا في النثر الذي لم يكن لنا دراية به كفاية على غرار ما وصل إليه الشعر من تغزل الشعراء بالطبيعة والذي تفرق بين الطبيعة الصامتة والطبيعة الحية.

إن الأدباء في العصر الجاهلي قد كان معظمهم أغلبهم يندرج في حقل الشعراء ولم يكن للنثر من هذا الاتساع الكبير في التغني بالطبيعة لان الطبيعة كانت ومازالت الملهم الأول لأصحاب الشعر خاصة في هذا العصر لأن الشاعر ابن بيئته يؤثر ويتأثر فأصبح يتغنى بطبيعتها أينما آلت به قريحته الشعرية ولقد «استلهم شعراء العرب بيئة الجاهلية من المياه والأمطار والأنهار والبحار والبساتين وفي قصائدهم وعرضوها معارض شتى في أشعارهم والبيئة في العصر الجاهلي كانت غنية بمظاهر الطبيعة التي ألمهت الكثير من الشعراء».[1]

«إن الأشعار الجاهلية زخرت بصور الطبيعة التي أضفى عليها الشعراء من إبداعهم وفنهم، فأنتجوا صورا فنية غاية في الدقة والإبداع، فصارت الطبيعة بذلك ملهما للشاعر الجاهلي، ومادة حية وجاهزة يحصل من خلالها إبداعه وفنه، وعلى هذا تحسب الطبيعة من أهم المصادر التي استقى الشعراء الجاهليون إبداعاتهم».[2]

هنا يتضح لنا أن الشاعر الجاهلي أدرك معالم الجمال في طبيعة بيئته ما جعله يبدع في وصفها وتصويرها فوصف الأطلال والبرق والمطر والليل ومختلف الظواهر الطبيعية، وكل شيء وقعت عليه عيناه لأنه ابن بيئته فالشاعر منها نشأ وفي أحضانها ترعرع والطبيعة من العوامل التي تثير الشاعر وتحثه على قول الشعر، «ونجد أن النقاد قد أعجبوا باستلهامات وإبداعات الجاهليين في مناح عدة مثلت الطبيعة أهمها: فقد احتسبوا امرؤ القيس

---

[1] – مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ، دار الكتاب العربي، د ط،2008 ، بيروت ، الجزء 3، ص 16-17.

[2]– المرجع نفسه، ص 17.

أشعر الشعراء لأنه:"أول من لطف المعاني، واستوقف على الطلول، ووصف النساء بالضباء والمها والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصى...».[1]

ويقول امرؤ القيس في وصف الأطلال :

لمن أطلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يماني [2]

ويقول:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي.[3]

والطبيعة من العوامل التي تثير قريحة المبدع، وتحثه على الإبداع. أكثر الشعراء الجاهليون من ذكر النبات وكثرة الماء في أشعارهم، وكان الشاعر الجاهلي يبدأ قصيدته بالأطلال، ويذكر الرحلة التي يصف من خلال كل ما يراه في طريقه، وكأن هذه المرحلة كانت وسيلة للخلوة والاندماج مع الطبيعة لإتمام عملية الإبداع بأحسن صورها.

«وقد قيل لشاعر كيف تصنع إذا عسر عليك قول الشعر: أطوف في الرباع المخلية، والرياض المعشبة فيسهل على أرضه، ويسرع إلى أحنه».[4]

وهذا دليل على أن الشاعر الجاهلي كان يستوحي ويستقي أشعاره من طوافه في أرجاء الطبيعة بمختلفها وكان أكثر تطوافا، وهذا دليل في أشعارهم التي وظفوا واختصوا بها بوصف الطبيعة في أشعارهم.

يقول أوس بن حجر في وصف السحاب:

" دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

ينزع جلد الحصى أجش مبترك كأنه فاحص أولاعي داح."[5]

---

[1]– ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مصر، ج1، د ط، 1955م، ص 26.

[2]– امرؤ القيس: ديوان امرؤ القيس، دار صادر، د ط، بيروت، 1958، ص 170.

[3] – ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار المعارف، د ط، القاهرة ، 1995، ص 38.

[4] – المرجع نفسه ص 28.

[5] – أوس بن حجر : ديوان أوس بن حجر ، دار صادر، د ط، بيروت، 1967، ص15.

وقال الأعشى أيضا في وصف الرياض:

" ما روضة رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل ." [1]

نرى من خلال هاته الأبيات لكل من أوس بن حجر والأعشى، أن الطبيعة ساكنة في خوالجهم الشعرية وقد بعثت فيهم الحياة، بحيث امتزجوا عناصر الطبيعة لتشكل بذلك عناصر طبيعية جديدة، وكل كلمة في الأبيات تدل على وجود الطبيعة التي اجتاحت عقل الشاعر الجاهلي.

ومن هنا يتضح لنا أن الطبيعة مثلت للإنسان الجاهلي مظهر للقوة الخارقة ومصدرا للإلهام والجمال، مما عزز في نفس الجاهلي قيمة وحب الطبيعة التي جعلته عابدا لكل عناصرها المكونة له من شمس وقمر وسحاب وأرض ونجما وحيوانا وابتدع لنفسه ما يعرف بالطوطمية، وهذا كله أصبح صورة للإبداع الذي تنعكس في شعره.

2- الطبيعة في العصر الأموي:

شهد العصر الأموي حضارة راقية اختلفت عن حضارة البيئة الجاهلية، فنعم بثورة اجتماعية ودينية وسياسية جديدة، فأنعشت آفاقه ومراميه وتحسنت أساليبه، ورغم ذلك لم يتأثر شعر الطبيعة الأموي بالتغيرات الطارئة، بل ظل مرتبطا بالمواضيع والصور القديمة بعيدا عن الرياض والجنائن، يعيش في البيئة التقليدية فتحدث عن الظل والصحراء والحيوانات البرية شأنه شأن الشعر الجاهلي.

فلقد تغنى شعراء العصر الأموي بعناصر الطبيعة وأشكالها المختلفة وسار على ما كان عليه سابقوه في العصر الجاهلي أي مضى الشاعر الجاهلي يستلهم الصحراء، فنجد على سبيل المثال وقوف جرير في وصفه للأطلال:

"ماذا يُهيجك من دار ومنزلة أو ما بكاؤك إذ جيرانك ابتكروا

نادى المنادي بين الحي فابتكروا منا بكورا فما ارتابوا وما انتظروا

[1]- الأعشى: ديوانه، دار صادر للطباعة والنشر، د ط، لبنان، 1960، ص150.

حاذرت بينهم بالأمس إذا بكروا منا وما ينفع الاشفاق والخدرُ"[1]

«فقد كان شعراء العصر الأموي يمضون على سنة أسلافهم في وصف الطبيعة من مثل الصحراء، والحديث عن رحلاتهم والتحدث عن كل ما تقع أعينهم عليه، ومن بين أهم الشعراء الذين تفننوا في شعر الرحلات نجد من مثل الأعشى، والنابغة الذبياني والأخطل، ذي الرمة». [2]

ونجد في شعر هذا العصر الطبيعة تتمركز أغلبها في شعر ذي الرمة لأنه يحفل بالكثير من مظاهر الطبيعة حتى أنه عد شاعرا للطبيعة بكل جدارة متحركة كانت أو حية، فاحتلت مساحة كبيرة في قصائده وفي قول من أشعاره:

"أخا ثنائف أغفى عند ساهمة تشكوُ الخشاش ومجرى النسعين كما

كأنها جمل وهمُ وما بقيت لا تشتكي سقطة منها وقد رقصت"[3].

إن معظم الشعراء في هذا العصر قد عاشوا في بيئات متحضرة إلا أن الطبيعة الصحراوية ظلت ملهم الأول في أشعارهم، وهذا لم ينسهم أن يقحموا الطبيعة الجديدة التي تختص بالحضارة الجديدة لبيئتهم الخاصة لكن بالرغم من هذا إلا أن البيئة الصحراوية هي التي ظلت شغلهم الشاغل.

---

[1]- جرير: ديوانه، شرح أسعد أحمد علي، دار صادر، ط2، بيروت، 1425هـ، 2005، ص197.

[2]- نور الدين السد: الشعرية العربية، دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص270-274.

[3]- محمود خالد القنا، الطبيعة المتحركة في شعر ذي الرمة:

(www.wata.cc/fowns/show thread. Php.

3- الطبيعة في العصر العباسي:

إن ازدهار الحضارة العربية في العصر العباسي ازدهارا كبيرا شمل جميع مجالات الحياة العباسية سواءا كانت سياسية أو اجتماعية أو فنية أو طبيعية وهذه الأخص التي افتتنوا بها وفصلوا في وصفها والتغني بمفاتنها وقد خصوا في شعرهم هذا الغرض بصفة كبيرة جدا حازت مساحات واسعة في هذا الجانب، فلم يترك زاوية من زوايا الطبيعة إلا ووصفها وتطرق إليها، فقد كان الشاعر العباسي لا يعقد مجلس شعري إلا وفي حضور ذكر الطبيعة أو أحد عناصرها المهمة.

«ونجد شعراء العصر العباسي قد تأثروا بالحضارة الجديدة في مواضيع الطبيعة مثلا نجد ابن الوليد أبو تمام والبحتري وأبو نواس وفي هذا يقول:

" ولقد تجوب بنا الفلاة اذاً صام النهار وقالت الحفر

تدنيه رعت العمر فأتت مليء الحزام كأنه قصرُ "[1]

فإعجاب الشعراء العباسيين بالطبيعة دفعهم إلى رسم أجمل الصور الملونة بالألوان الزاهية «إذا رأى ابن الرومي الدنيا في الربيع، أصبحت تروق النظر إليها ففي رؤية ألوان الطبيعة، وتنوع أشكاله جلاء للبصر كما في قوله:

" أصبحت الدنيا تروق من نظر بمنظر فيه جلاء للبصر» [2]

وقد تغنى شعراء هذا العصر بمواضيع كثيرة اختصت بالطبيعة ومن أهمهم "**البحتري**"الذي لاح شعره في الأفق وذلك بوصفه للقصور الشاهقة الذي لم ير مثله من قبل من حيث ضخامته وعلوه وضوئه، فتعجب من رؤية الاخضرار دون مطر والضوء من دون قمر في قوله:

" في رأس مشرفة، حصاها لؤلؤ وترابها مسك، يشاب بعنبر

---

[1] – أبو نواس: ديوان أبو نواس، تحقيق وشرح سليم تحليل قهوجي، دار الجيل، دط، بيروت، 1425هـ، 2003م، ص380.

[2]– ابن الرومي: ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب و الوثائق، ط3، ج3، القاهرة، 2003م، ص 994.

مخضرة والغيث ليس بساكب ومضيئة والليل ليس بمقمر

فرفعت بنيانا كان مناره أعلام رضوى أو شرهق صبير "[1]

وفي إطار وضعه للمدن والحواضر، ذكر البحتري بعض المدن كغرضه لوصف دمشق أثناء مدحه للبحتري :

" أما دمشق فقد بدت محاسنها وقد وفي لا مطر بها بما وعداَ

إذا أردت ملأت العين من بلا مستحسن وزمان يشبه البلدا

يمشي السحاب على أجبالها فرقا ويصبح النبت في صحرائها بددا"[2].

وهنا يتجلى لنا أن الشعراء في العصر العباسي قد أحاطوا شعرهم بعناية خاصة، وذلك من خلال تضمين جمال الطبيعة في قصائدهم، وذلك لتميز الطبيعة من حيث الألوان والتنوع وهذا يؤكد فعلا قدرتهم على مجاراة جمال الطبيعة من خلال شعرهم.

4- شعر الطبيعة في الأندلس:

ما لبث العرب إن استقروا في الأندلس، ورحل إليها شعرائهم، حتى بدأ الشعر الأندلسي ينهض بنفسه ويقوى وذلك من خلال أشعار شعراء الأندلس ونجد بان الشعر الأندلسي هو امتداد للشعر العربي، وذلك نتيجة تأثرهم الكبير بشعراء العرب وبهذا فقد أخذ منحنى جديد وبدأ يأخذ مواضيع جديدة ازدهرت في هذا الزمان من مثل شعر الطبيعة.

"انبثق فن شعري عن الحضارة الأندلسية انفرد بمجموعة من الخصائص تأثر بها ساد في المجتمع الأندلسي من تعايش وسماحة، اتسم أهلها بالتفرد والتميز والميل إلى فنون العلوم، قال عنهم التهرتي» **حال الأندلس في فنون فتحقيق الأنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز**».[3]

"ولقد حضي الشعر عند الأندلسيين بمكانة عظيمة وأكثر ما ميز هذا التطور هو ظهور الموشحات التي شاعت وسط أهالي الأندلس، تجاوب هذا الفن مع بيئته التي شاع فيها الغزل والشراب والغناء، عرفت على أنها

---

[1]- البحتري: ديوان البحتري، تحقيق وتعليق كامل الصيوفي، دار المعارف، مصر، د ط، ص 112.

[2]- المرجع نفسه، ص 112.

[3]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، ج1، د ط، بيروت، لبنان، 1968م، ص 220.

هي الفن الأندلسي الأصيل الذي استحدثه الأندلسيون وأعربوا به على أهل المشرق وظهر فيه كالشمس الطالعة والضياء المشرق، وهذا ما أدلى به بن دحية".[1]

"وظهر في هذه البلاد فن آخر هو الزجل، ضرب من ضروب النظم يختلف عن الموشح من حيث الإعراب ولا يختلف عنه من حيث القافية، كتب بلغة عامية بحتة بل هي مهذبة وان كانت غير معربة."[2]

وبهذا نجد أن الأغراض والموضوعات في شعر الأندلس قد تكاثرت وتباينت في بينها في نوع إلى آخر وهذا بفضل الطبيعة الساحرة والمدن الخلابة الجميلة التي كانت موجودة في الأندلس والتي نالت شهرتها بفضل ذلك الجمال.

لقد وصفت بلاد الأندلس بجنة الخلد على الأرض وذلك لما تحمله في طياتها الطبيعية من جمال وبحار أحاطت بها والأنهار الجارية الكثيرة، وانتشار الرياض والمتنزهات، مما جعل شعراء الأندلس يقتنون بها فألهمتم صوراً خيالية سحرية، وبذلك راح شعراء الأندلس يتغنون بكل ما هو طبيعي ناطق وجامد في السماء أو على الأرض، وقد أكد على هذا بن خفاجة في أحد أشعاره التي اهتم بوصف الطبيعة في قوله:

" يا أهل الأندلس لله دركم ماءٌ وظل وأنهار أشجار

ماجنة الخلد إلا في دياركم ولو تخيرت هي كنت اختار

لا تحسبوا في غد أن تدخلوا استقرا فليس تدخل بعد الجنة نار".[3]

فابن خفاجة هنا يتغنى بجمال الأندلس من ماءها العذب وظل الأشجار حتى تسنى له بوصفها جنة الخلد.

كما نجد في ذكر الطبيعة عند أبي الحسن بن مهلهل الجياني التي يصف فيها كيف تتوشح جيان بنهرها وأشجارها وروضها ونسيمها وطيرها وصباحها حتى بكت السماء من فوح زهرها المعطار في قوله:

النهر سل حساماً على قدود الغصونِ

---

[1]- مصطفى الشكعة: دار العلم للملايين، ط4، بيروت، لبنان، 1979م،ص 71.

[2]- محمد عباسة: الموشحات الأندلسية والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر الثروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، ط1، مستغانم، الجزائر، 1433هـ، 2012م، ص 106.

[3]- ابن خفاجة: ديوان ابن خفاجة، تحقيق السيد مصطفى غازي، منشأ المعارف، الإسكندرية، د ط، 1870، ص 84.

ولنسم مجالُ

والروضة فيه اختيالُ

مدت عليه ظلال

والزمر شق كماما وجدّ ابتلك اللّحونِ

أماّ ثرى الطير صباحا

والصبح في الأفق لاحاَ

والزهر في الأرض فاحاَ [1]

بنيت هذه الموشحة على وصف الطبيعة وحدها تبدو معانيها بسيطة معبرة على عناصر الطبيعة من مثل الزهر والروض والطيور والصباح وغيرها.

إن أهم ما ميز شعر الطبيعة الأندلسي أن الشاعر مزج بين عدة أغراض في غرض واحد على رأسها الخمر والحنين والغزل موظفا في ذلك عنصر الطبيعة، ونذكر في ذلك مزج الخمر مع الطبيعة وقد تجلى هذا في شعر ابن شرف الذي يقول في ذلك:

أدرأ كؤوس الخمر

عنبرية النشر

أن الروض ذو بشر

وقد درع النهرا هبوب النسيم

وسلت على الأفق

يد الغرب والشرق

[1]- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، القاهرة،1964م، ص 424.

سيوفا من البرق

وقد أضحك الثغرا بكاء الغيوم.[1]

وهنا نرى بأن الشاعر قد وظف عناصر الطبيعة بكاملها، مع تشبيهها من مثل النهر والبرق والروض مع توظيف الخمر يعني امتزاج عناصر الطبيعة مع الخمر .

وبهذا كان الشاعر الأندلسي يصف الطبيعة فيذكر مفاتنها من رياضا وفصل الربيع الزاهي بألوانه وبديعه الحلو.

"ومن شعر الطبيعة كذلك نجد موشحة " لأبي الحسن ابن مسلمة" قد أبدى فيها إعجابه بوادي ريه المتميز بجماله، حيث تتفرغ جداوله وأنهاره بمياهها اللامعة في منظر بهيج، وقد وظف مصطلحات الحروب وأدواتها، إذ شبه النهر بالدرع فيجسد الرياض في صورة كائن حي يتوجس خيفه من تدرع النهر، ويخشى الحمام، فيقول في ذلك:

بوادي ريه اخلع عذرا الثقابي

أماّ تراه مفرع

مثل الصباح المرضع

بالرفض عاد مجزع

سقاه ريه من صفر ماء السّحاب

عليه حثّ المدامة

وانظره في شكل لامة

خاف الرياض حمامه

نعكم خطية مدت له كالحراب [2]

---

[1]- فوزي عيسى: الأدب الأندلسي، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، د ط، 2015م، ص 266.

[2]- المرجع نفسه، ص 268، 269.

ومن هنا يتضح جليا أن الشاعر شخص عناصر الطبيعة وفصل في وصفها، إن شعراء الأندلس لم يكتفوا في تشخيص ووصف الطبيعة وذكر مفاتنها وإنما تعدى ذلك بكثير فراحوا يتغزلون به في مختلف أشعارهم ومن ذلك شعر عبد الغافر بن رجلون المرواني.

أوقد في قلبي النار وليس يريد يُطفيه

وسد باب الدّار أي خذل فيه أي تيه

يا أحسن الغزلان يا كوكب دري.[1]

وبهذا نجد أن جل شعر الأندلس كان لا يخلو في وصف أو ذكر للطبيعة أو إحدى عناصرها فنجدها إلا وتم التغني بها وهذا دليل على التعلق الشديد للأندلسيين بطبيعة بلادهم الساحرة الوافرة والجمال الخلاب ذات الجبال الخضراء والسهول الجميلة، والطيور المغردة على أفنان الأشجار المصطبغة بظلال وافرة ، وألوان ساحرة.

5- الطبيعة عند المحدثين:

إن النظرة إلى الطبيعة عند شعراء التيار الرومانسي يتجاوز الموقف المادي المحسوس، وذلك لان الطبيعة من أهم الموضوعات التي خاض فيها أصحاب هذا المذهب فقد انغمسوا في رحاب هذه الطبيعة بل وهناك من تجاوز هذا وراح منحنى آخر وهو التغزل ووصف هذه الطبيعة بصفة خالصة، ومزجها مع مشاعرهم الوجدانية وهذا ليس بالأمر الجديد وإنما من مخلفات الشعراء العرب القدامى، فراحوا يتغنون بالمطر والسحاب ومع مرور الوقت أصبح الشاعر الرومانسي يبدع بفعل تلك الطبيعة الخلابة.

" لقد كان الشاعر الرومانسي عميق الإحساس بالطبيعة في جميع مظاهرها وراحوا يستلهمونها ويستوحون أسرارها، على نحوها نجد في أدب "وردزوت" الذي يقول: «وبفضل خبوه ومسراته ومخاوفه، توحي إلى أقل الورود المتفتحة شأنا بأفكار غالبا ما تكون جد عميقة حتى لتفجر دموعي». [2]

[1]- ابن السعيد: المغرب في حلى المغرب،ص 226.

[2]- محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، دار الثقافة للطباعة والنشر، دط، بيروت، ص 170-171.

"إن الحديث عن الطبيعة في الأدب الرومانسي ليس بالأمر الجديد إنما اخذ منحنى جديد بحيث تطرق إلى التبهج والخوض في غمار هذه الطبيعة والتعمق فيها على غرار القدامى في العصور السابقة الذي اعتبروا الطبيعة محطة عبور فقط ولم يتخذ لها موضوعا خاصا على غرار ما جاد به الرومانسيين .

وأهم ما ميز الطبيعة في الشعر الحديث أنها حيوية عالقة يحس بضربات فؤادها ويسمع رغم إنشادها ويلذ له التحدث إلى أنهارها وغاباتها وجبالها ووديانها فأحيا الشاعر هذه العناصر وجعلها ذات شعور وإدراك ونظر كما أنه كان أيضا شغوفا بالطبيعة الحية".[1]

"لا يمكننا الحديث عن شعر الطبيعة في العصر الحديث دون أن نشير إلى شعراء مدرسة "أبولو" هذه المدرسة التي فرضت نفسها على الساحة الأدبية لكثرة عدد شعرائها وتنوع دواوينهم، وإنما هي أول من سمي شعر الطبيعة وخصص له مكانا بعينه بين فنون الشعر العربي".[2]

كان اندماج شعراء " أبولو" بالطبيعة اندماجا عاطفيا يصل إلى مرتبة العشق والهيام، فهاهو أبو شادي يمتزج بالطبيعة حتى تمنى أن يكون كفنه من أغصان الياسمين وتنثر أزهارا لتكون نحو ما فوق قبره، وأراد أن يرتيه الليل فوق قبره، ويقول في ذلك:

" كفّنوني بأغصان الياسمين إن في طيبه عزاء الدفين

وأنثروا زهره نجوما بقبري على من نوره شفاء العيون

وادفنوا جانبي رسائل حُب كم شجتني بأوقع التلحين

ودعو، البلبل المغنى بشعر يتولى رثاء قلبي الحزين"[3]

[1]- أحمد حسن الزيات: اتجاه الأدب الحديث، مجلة الرسالة تاريخ، 1952/07/21، العدد 994، ص 4.

[2]- أحمد عيوني: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2001، ص 18.

[3]- أبو شادي أحمد زكي: ديوان الشعلة "متى مت"، ط1، 1933م، ص 135.

"كما نجد أغلب الشعراء الرومانسيين الآخرين قد تفننوا في وصف الطبيعة بكل قواهم الشعرية وأحاسيسهم العاطفية وفي هذا نجد" إبراهيم ناجي" الذي يصور البحر كصورة طبيعية متحركة في قوله:

صورة للبحر أو صورة نفس عندما النفس من اليأس تثورُ

قد علا الموج وقد عزّ التأسي لم يعد إلا عباب وصخور

زُلزل البحر على راكبه مثلما زُلزل قلب ضجر

سفر صار على طالبه ركب ضنك، والمنا يا سفرُ[1]

وبهذا نجد الشاعر الرومانسي قد أطلق العنان لنفسه بالتوسط بين إحساسه ومشاهد الطبيعة والحياة، لقد كانت له القدرة الفائقة في التصوير، تصوير الألوان والأشكال والحركات من مثل ذلك نجد كلا من أبي القاسم الشّابي الذي بلغ اهتمامه بالطبيعة إلى درجة كبيرة.

"تأثر الرومانتكيون بالطبيعة وعناصرها فكانوا ينشدون السلوان فيها، وينسون حزنهم ومناظرها فقد يضيقون بمناظرها الجميلة لأنها لا تعبا بحزنهم وكأنها تسخر منهم، وغنما يستحيون لمناظرها الحزينة لان لها صلات بخواطرهم ومصادرهم".[2]

ونخلص في الأخير إلى أن هذا الأثر العميق لطّبيعة في شعر الرومانسيين هو نتاج تلك المشاعر الرقيقة والأحاسيس المرهفة والعواطف الجياشة، ليست للانعزال عن المجتمع وإنما العكس فهو البحث عن حياة جديدة فيها نوع من الروح والحيوية بعيدة كل البعد عن المجتمع الغامض أو على حد قول محمد غنيمي البحث عن الفردوس المفقود.

[1]- إبراهيم باجي: ديوان ليالي القاهرة، قصيدة " عاطفة" ، دار العودة، د ط، بيروت، 1973م، ص 317.

[2]- محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، ص 73.

الطبيعة في حي بن يقظان:

إن الإنسان في الحقيقة هو قمة الموجودات في هذا العالم، وهو بمثابة مرآة يتجلى فيها الكون كله، وهو الكائن الوحيد على هذه الأرض القادر على تعقل ما حوله وإعطائه معنى وهدفا، وما أعمق في قوله تعالى:﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ سورة الداريات، الآية21.

وبهذا يكون الإنسان هو الكائن الذي ميزه الله عن سائر الكائنات، وهو العقل أي أنه أوجد فيه من الإستعدادات ما لم يوجد في مخلوق آخر وكرمه على باقي المخلوقات وقد أثبت ذلك في قوله:﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ٧٠﴾ سورة الإسراء، الآية70.

فالخالق تبارك وتعالى صمم الدماغ البشري على ألا يتقبل فكرة المصادفة أو فكرة الخلق العشوائي، ولابد من وجود سبب لكل شيء يراه الإنسان من حوله.

"ونلاحظ أن كثيرا من العلماء تم اعتماد التأمل في المخلوقات وقد أقروا بوجود التشابه بين المخلوقات منذ زمن بعيد، عاصر زمن الجاحظ وابن خلدون وكثيرا من العلماء المسلمين الذين لم يفصلوا بين الإنسان وباقي الكائنات الأخرى واعتبروها لا وجود لفرق بينهم، حتى جاء في ضمن القرن الثامن عشر نشر الباحث اليهودي الأصل تشارلز داروين نظريته حول تطور الكائنات الحية بأسلوب علمي في كتاب بعنوان أصل الأنواع 1859م"[1].

[1]- الإعجاز في الطبيعة www.kaherl7.com

"وقد تكلم في هذا السياق أن جميع المخلوقات نشأت بالتدرج من خلية واحدة وبفعل المصادفة، وتوفر الشروط الفيزيائية من الحرارة والرطوبة والهواء تكاثرت هذه الخلايا وتولد عنها سلسلة من المخلوقات بدأ من النباتات وانتهاء بالإنسان"[1]

وبهذا نلاحظ أن داروين لم يعمد إلى أن هنالك خالق. و يقر بأن المخلوقات تولدت من بعضها بفعل التطور الطبيعي بمرور ملايين السنين و هذه الأفكار تعارض ما جاء به داروين لأن هذه ليست الحقيقة وإنما مجرد تخمين، إن الله تعالى خلق الإنسان من التراب، هذه الحقيقة تعنيه لا ريب فيها، ولكن كيف خلق الإنسان فهي من الأمور المجهولة تماما وتعتبر من الغيبيات التي لا يطلع لها أي أحد إلا الله عز جل. إن كيفية الخلق والمراحل التي مر بها خلق الإنسان أمر غائب عن علم الإنسان لقوله تعالى:﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾ سورة الكهف، الآية51 .

وبهذا لا يوجد دليل قاطع عن كيفية خلق الإنسان أو باقي الكائنات الأخرى إنما نوافي بما جاء منزل في كتاب الله عز وجل. وهو أن الإنسان خلق من تراب فقد خلقه الله بطريقة خاصة تختلف عن أي مخلوق آخر لذلك يجب أن نفرق بين خلق كل الكائنات على الأرض وخلق الإنسان الذي جاء عن رغبة إلهية لقوله تعالى في ذلك: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾سورة ص، الآية71، 78.

[1]- الإعجاز في الطبيعة www.kaherl7.com

وهذه الآية تدل على أهمية الإنسان عند الله وأنه ميزه عن سائر المخلوقات لأنه استواه و نفخ فيه.

يبدأ تسلسل أحداث القصة بميلاد حي، الذي سجل ابن طفيل هنا رأيين مختلفين حول نشأة حي إذ لم يحسم كيفية نشأة حي، فقد سرد في هذا روايتين، الأول منها: تخمر الطين في جزيرة من جزائر الهند، وهي كما ذكر "سلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم ـ أن جزيرة من جزائر الهند التي تحت خط الاستواء وهي الجزيرة التي يتولد بها الإنسان من غير أم ولا أب، وبها شجر يثمر نساء، وهي التي ذكر السعودي أنها جزيرة الواقواق". [1]

والرواية الثانية تقول: "إنه كان بإزاء تلك الجزيرة، جزيرة عظيمة، متسعة الأكناف، كثيرة الفوائد عامرة بالناس، يملكها رجل منهم شديد الأنفة والغيرة، وكانت له أخت ذات جمال حسن باهر، فعظلها، ومنعها الزواج إذا لم يجد لها كفوا" كان له قريب يسمى يقظان فتزوجها سرا، على وجه جائز في مذهبهم المشهور في زمنهم، ثم أنها حملت منه، فوضعت طفلا[2] ، فلما خافت أن يفتضح أمرها وينكشف سرها وضعته في تابوث أحكمت زمه، بعد أن أروته من الرضاع وخرجت به أول الليل في جملة من خدمها ونقلها إلى ساحل البحر، وقلبها يحترق صبابة به، وخوفا عليه، ثم ودعته.[3]

وبهذا يكون البحر قد حمله إلى وجهة أخرى وهو ساحل الجزيرة الأخرى المتقدم ذكره.

إن ابن طفيل في رسالته هذه قد جعلها عبارة عن رمزيات ودلالات لها بعد تأويلي بعيد ولكن ضمن لغة معبرة بسيطة لها إيحاءات كثيرة تمثلت في جانب الطبيعة وكل ما تعتريه من أمور أخرى.

إن أهم محطة بدأ ابن طفيل بها رسالته هي موضوع بدأ الخليقة وتكوين الإنسان والتي تعد أهم محور و أهم شأن عنده وقف عليه وذلك من خلال معالجة هذه القضية التي وجدت في رسالة بحيث وضع نشأة حي على

---

[1] – ابن طفيل :حي بن يقظان، دار موفم للنشر،د ط، الجزائر، 2011 ، ص 25.

[2] – المصدر نفسه، ص 28، 29.

[3] – المصدر نفسه، ص29.

محورين، فالأولى أنه نشأة طبيعية أي تشكل عناصر الطبيعة، والثانية شرعية من أب وأم والأخص بالذكر هنا أنه تولد طبيعيا ونقصد به هنا التولد الذاتي عبر امتزاج عناصر الطبيعة من النار والهواء، والماء والتراب بلا أب أو أم وهذه فكرة تتسم بشيء من الغرابة والإغراق بالخيال أما الرواية الثانية فهي تميل إلى الواقعية وتتوافق مع ما هو شرعي وهو نتاج زواج أمه وأبيه والذي خافت أمه من بطش أخيها الملك الظالم فقامت بوضع إبنها في ثابوت أحكمت غلقه وقلبها يحترق من الخوف عليه ثم قذفت به في اليم.

وفي هذا الصدد نجد هنالك تقاطعا كبيرا مثله ابن طفيل وهو تمثل في التناص من القرآن الكريم في ما يخص نشأة "حي" والمتمثل في نشأته على تلك الجزيرة و الذي يخص الخلق ، وهو ما جاء في قوله تعالى:﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩﴾سورة السجدة،الآية7،9.

ولم يكتف ابن طفيل في التبني من القرآن الكريم هذا و فقط بل كان للقرآن الكريم حضورا كبيرا فقد استمد من قصة موسى عليه السلام عندما قامت أمه مريم برميه و قذفه في التابوت في اليم و قد جاء هذا في قوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ۝٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ۝٣٩﴾ سورة طه، الآية37، 39.

كما نجده أيضا أخذ من القرآن الكريم في موضع مولد حي الذي يتوافق مع الآية الكريمة لقوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ﴾سورة المؤمنون، الآية12.

وبهذا فقد ضمن ابن طفيل القرآن الكريم بكثرة وتمركز حوله الكثير من القضايا التي عمد إليها في هذا الصدد وهي كيف نشأ حي.

1- الجزيرة:

يبدأ مشروع حياة حي هنا في جزيرة حيث تكون هنا المحطة الأولى لبدأ حياته التي كانت على هذه الجزيرة والتي جاءت في العديد من الكتب وتم الحديث عنها في مختلف العصور وهي جزيرة نائية مقطوعة عن البشر ومعزولة تماما عن العالم الخارجي ولهذه الجزيرة العديد من الدلالات و الرموز ومن بينها أنها انعدام المؤثرات الفكرية وبعيدا عن المجتمع وتكويناته وتعبر عن أسطورة،أي فيها نوع من الخرافة والأساطير اليونانية التي و ظفها ابن طفيل من خلال هذه الجزيرة التي اختارها أن تكون موقع الحدث المشهود، لأن الجزيرة هنا اختارها لكي تكون فضاء للعزلة، كما نجد أن هذه الجزيرة التي انتمى إليها حي إنما هي تعبر عن خطيئة حملها حي على عاتقه كانت نتاج ذلك الزواج الذي حدث سرا بين أبويه فكان العقاب منزل على حي باعتزاله تلك الجزيرة وهذا مستوحى من فكرة عقاب آدم بإنزاله الأرض عندما قام بمخالفة أمر الله عز وجل، فقد عاقبه الله بإنزاله إلى الأرض هو وحواء.

فدلالة الجزيرة هنا تحمل عدة دلالات طبيعية كونها تمثل علاقة بين هذه الجزيرة والخلق بحيث أنها تجسد على واقعها تلك العناصر الطبيعية المختلفة من تراب وهواء وبحارا وأنهارا وحيوانات وباقي العناصر الأخرى ، فهي تمثل العزلة التي شكلها ابن طفيل بجعل "حي" يولد ويعيش ليجد نفسه وسط تلك الجزيرة بحيث عمد إلى تحرير نفس حي من المجتمع وخرج بها من التعريف الإنساني الشائع بأن الإنسان حيوان ناطق وابن خلدون في قوله الإنسان مدني بطبعه، إلى أن الإنسان حيوان اعتزالي.

فالجزيرة هنا تمثل البداية الأولى لحي بصفائها ونقائها واخضرارها وبجمالها وعند ربطها بنظرية الخلق فهي تمثل البداية الأولى لخلق حي لأن حي خلق من أحد مكوناته وبالتالي وجوده كان مشتق من هذه الجزيرة، وبالتالي فهي

تمثل العزلة والعزلة هنا تقتضى لتجاوز الذات الإنسانية، وهذا ما ذهب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما اعتزل إلى غار حراء واستفرد بنفسه وذلك لحكمة التأمل والتدبر، كما نجد كذلك ابن خلدون عندما اعتزل في مغارة في فراندة بتيارت، وكان نتاج ذلك الاعتكاف كتابة مقدمته وإلى جانب ذلك نجد الغزالي الذي اعتزل هو كذلك وقام بكتابة تهافت الفلاسفة وإحياء علوم الدين.

أما عزلة حي في تلك الجزيرة التي تقع على خط الاستواء فهي تحمل عدة دلالات من بينها مصير الإنسان وعلاقته بنفسه وجسده، وعلاقته بالطبيعة والآخر، باعتبار أن العزلة من الشروط المهمة للمعرفة وتحقيق الذات.

وإن عزلة حي في هذه الجزيرة قد سمحت له باختراق ذاته والتأمل في صور الطبيعة وأشكالها ومختلف الكائنات الأخرى، بحيث اعتمد على نفسه كمرجع، وقد مر حي في هذه الجزيرة بعدة مراحل مهمة في حياته داخل هذه العزلة وقد عمد ابن طفيل في هذا الصدد إلى تبيان حقيقة بدأ الخلق وتشكل الإنسان، فالجزيرة هنا إشارة إلى واقع العالم المحسوس المادي الذي يبقى منها حدود وأماكن لا يعرفها أحد.

وبالتالي فالجزيرة هنا تمثل مرحلة البدائية الأولى لحي.

2- النار:

ومن المراحل التي مر بها حي على تلك الجزيرة نجد اكتشاف النار وهي تعد أهم مرحلة في حياة حي بن يقظان لابن طفيل ويرد ذلك في "واتفق في بعض الأحيان أن افقد حتى نار في أجمة، على سبيل المحاكمة فلما بصر رأى منظرا أهاله، وخلقا لم يعتده قبل، فوقف يتعجب منها مليا وما يزال يدنو منها شيئا فشيئا، فرأى ما النار من الضوء الثاقب والفعل الغائب، حتى لا تعلق بشيء، إلا أتت عليه وأحالته إلى نفسه. فحمل العجب بها وبما ركب الله تعالى في طباعه من الجرأة والقوة على أن يمد يده إليها، و أراد أن يأخذ منها شيئا....."[1]

[1]- زواوي بغوره :حي بن يقظان ، ص 51،52.

إن اكتشاف حي للنار كانت مصادفة وهذا ما جعل حي في غاية الغرابة والتخيل الشديد، إذ اعتبر أن حي هنا ولد الولادة الأولى لأنه عندما اكتشف هذا النار يعني اكتشاف لذاته ومن هنا اكتشف حي الوجود وتكونت حياته لأنها أصبحت قائمة على هذا العنصر. وقد استقى ابن طفيل هذا العنصر من الثقافة الفارسية حيث كانت النار تشكل المحور الأساسي عندهم لأنها تمثل محور حياتهم لأن النار هي المبدأ العقلاني التي قامت عليه الحياة والعنصر العقلاني المنظم لهذا الكون.

وعند اكتشاف النار من طرف حي فهي مثلت أهم مرحلة في حياته "بحيث أخذ من النار ونيسا في الليل والنهار وراح يتأمل فيها ويستخدمها في كل شيء موجود في الطبيعة مثل الطعام، والدفء، بحيث قال فيها ووصفها".

ثم مازال يمد تلك النار بالحشيش والحطب الجزل، ويتعهدها ليلا ونهارا استحسانا لها وتعجبا منها، وكان يزيد انسه بها ليلا لأنها كانت تقوم له مقام الشمس في الضياء والدفء، فعظم بها ولوعه، واعتقد أنها أفضل الأشياء لديه، و كان دائما يراها تتحرك إلى جهة فوق، و تطلب العلو، فغلب على ظنه أنها من جملة الجواهر السماوية التي كان يشهدها".[1]

نلاحظ هنا دلالية النار واستخداماتها من طرف حي، فهي تمثل تدرجه في اكتساب المعرفة أي أن النار هنا تمثل التفكير بدون لغة.

كما نجد حي بفضل اكتشافه للنار قد راح يكتشف ويبحث في استخداماتها حين ألقى بعض الحيوانات البحرية فيها، فاهتدى إلى شيء من اللحوم الطازجة ثم قارن هذه النار وحرارتها مع حرارة الحيوان الحي،وما كان يجده في نفسه من شدة الحرارة عنده صدره واستنتج أن هذا الشيء هو نفسه، أو قريب من الذي يبحث عنه.

[1] – زواوي بغوره: المصدر السابق، ص 52، 53.

"فصح ذلك البخار الحار هو الذي كان يحرك هذا الحيوان، وإن في كل شخص من الأشخاص الحيوانات ومثل ذلك ومتى انفصل عن الحيوان مات، ثم تحركت في نفسه الشهوة للبحث عن سائر أعضاء الحيوان وترتيبها وأوضاعها وكميائها وكيفية ارتباط بعضها ببعض و كيف تستمد من هذا البخار الخارجي تستمر لها الحياة به وكيف بقاء هذا البخار المدة التي يبقى، ومن أين يستمد وكيف لا تنفد حرارته".[1]

ومن هنا تبين لنا أن دلالة اكتشاف النار هي رمزية على تطوير معارف حي نحو بلوغ الحقيقة وذلك من خلال الاكتشاف والتأمل الذي ساعده في ارتقاء التفكير العقلي.

فحي هذا الإنسان البدائي الذي تربى في تلك الجزيرة المعزولة بعيدا عن البشر، تدرج في مراحل عمره المختلفة فقد وصل إلى سن الثمانية والعشرون وهو يراقب كل ما حوله باستخدام عقله في تفسير كل شيء "فلما نظر في المحسوسات، أخذ أبسط الأجسام المحسوسة وهي الماء، فوجد أنه يسخن ويبرد وإذا تعرض لفرط حرارة الشمس أو النار يأخذ شكلا غير الصورتين التي تصدر عنه فعلم بالضرورة أن لكل حادث محدث، واكتشف هنا أوجه التشابه والاختلاف بين الكائنات، فأدرك اتفاق الكائنات في المادة واختلافها في الصور، ثم صنف الأجسام إلى ثقيل وخفيف، وتفهم علة الحوادث، وهذا دلالة على تطور معارف حي بالاعتماد على المقارنة بين الأشياء لاكتشاف الفروق بين هذه الظواهر، ومن ثم التعرف على خصوصيتها"[2].

ولقد تبين لنا من خلال هذا التميز الذي قام به حي في الفصل بين الصور والأجسام من خلال فطرته والتأمل والاكتشاف والبحث دلالة على التطور والارتقاء الملحوظ في معرفة حي بما يجري حوله في هذا الكون والوجود. وهذا كله حاصل دون لغة وإنما عن طريق التفكير المعمق.

---

[1] – زواوي بغوره: المصدر السابق ، ص 55.

[2]– المصدر نفسه ،ص76.

إذا المعرفة لا بد أن تكون مكتسبة، لا مخلوقة مع الإنسان وهذه المعرفة لا تقف عند أحد، فهي تتطور وتتدرج، فحي يرتقي في المعرفة عن طريق الحواس والتجربة إلى المعرفة العقلية القائمة على الاستنتاج والملاحظة في عالم الأرض إلى التأمل في السماء والعالم بأسره خروجا من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة.

وانتقل من الأرض إلى السماء وعرف خاصية الأجسام "فقد علم أن السماء وما فيها من الكواكب لأنها ممتدة في الأقطار الثلاثة: الطول و العرض و العمق، لا ينفك شيء منها عن هذه الصفة، و كل ما لا ينفك عن هذه الصفة فهو جسم. وأدرك بعد ذلك ان لكل جسم متناه، و يلزم على انتهائه أن كل قوة في جسم فهي لا محالة متناهية، فإن وجدنا قوة تفعل فعلا لا نهاية له فهي قوة ليست في جسم.[1]

وبهذا استدل حي على وجود قوة فاعلة خارجة عن الجسام، و لو لا وجودها لم تكن الموجودات، و هي في ذاتها غنية عن كل علة ذلت قدرة متناهية تتصف بالحكمة وبديع الصنعة، فما كان له إلا أن تتحقق عنده أن ذلك لا يصدر إلا عن فاعل مختار في غاية الكمال وفوق الكمال".[2]

ولم يتوقف حي في هذه النقطة بل لاح أفقه في علالي الكواكب و الشمس و القمر، و تأمل فيها مطولا حتى اتخذ لنفسه أنها تطلع من جهة و تغرب من جهة و ذلك لقوله في هذه الفكرة :" فنظر أولا إلى الشمس و القمر وسائر الكواكب، فرآها كلها تطلع من جهة المشرق، و تغرب من جهة المغرب، فما كان منها يمر على سمت رأسه رآه يقطع دائرة عظمى، وما مال عن سمت رأسه رآه إلى الشمال أو إلى الجنوب".[3]

كما نجد أن ابن طفيل قد ناقش مسألة العالم وحدوثه، فهو في أول الأمر نظر طويلا، ولم يجزم بحكم قطعي. ثم قسم العالم وحدوثه، وطرح عدة أسئلة للجواب عليها، و تدرج في الوصول إلى النتيجة النهائية، ثم أعاد النظر

---

[1] – زواوي بغوره، المصدر السابق ، ص80.

[2] – المصدر نفسه، ص81، 82.

[3] – المصدر نفسه ، ص 83.

والتفكر مرة أخرى لئلا يغفل عن شيء. ولكنه خلص إلى أنه لا بد للعالم من محدث حيث يقول ابن طفيل على لسان حي بن يقظان: "إذا كان حادثا، فلا بد له من محدث، وهذا المحدث الذي أحدثه، لم أحدثه الآن ولم يحدثه قبل ذلك، الطارئ طرأ عليه ولا شيء هناك غيره. أم لتغير حدث في ذاته؟ فإن كان فما الذي أحدث ذلك التغير.

ومازال يتفكر في ذلك عدة سنين، تتعارض عنده الحجج، و لا يترجح عنده أحد الإعتقادين على الآخر، فلما أعياه ذلك، جعل يتفكر ما الذي يلزم عن كل واحد من الإعتقادين فلعل اللازم عنهما يكون شيئا واحدا، فرأى أنه إن اعتقد حدوث العالم و خروجه إلى الوجود بعد العدم، فلازم عن ذلك ضرورة، أنه لا يمكن أن يخرج إلى الوجود بنفسه، وأنه لا بد من فاعل ليخرجه إلى الوجود، وأن ذلك الفاعل لا يمكن أن يدرك شيئا من الحواس".[1]

ومن هنا راح يرصد الفضاء، متطلعا إلى ما فيه من الكواكب وأفلاك، ويتفكر في مسألة قدم العالم وحدوثه، وما يتعلق بهذه المسألة من قضايا النفس والروح و الله تعالى، وبهذا تحقق لدى حي انتقاله من معرفة الطبيعة إلى معرفة ما وراء الطبيعة و كل هذا عبر المشاهدة والتفكر والتأمل والتدبر وكمال العقل في كل العناصر المكونة للطبيعة المختلفة وبهذا لاحظ حي أن جميع الأجسام التي في عالم الكون والفساد تتميز ببعض الصفات وتختلف ببعض وهي متغايرة ومتكاثرة ، ونجده أيضا ناقش مسألة حدوث وقدم العالم وقرر وتوصل بهذا إلى أن لكل حادث محدث، وفي النهاية خلص إلى أن الكون كله شخص واحد.

وبهذا يتضح لنا أن الطبيعة لعب دورا مهما في تحقيق معرفة حي وتكوين ذاته لأنها المنطلق لتحقيق بدايته الأولى والوصول إلى مرجعيته الأخيرة.

[1] – عبد الحليم محمود: فلسفة ابن طفيل و رسالته حي بن يقظان، ص148،149.

الفصل الثاني

الحيوان

تمهيد:

إن لكل عنصر موجود في هذا الكون اسم أو لفظ دال بين واضح سواءا كان محسوما أو ملموسا أو حتى مجرد، ولكل شيء معنى ومبنى ومسمى، وهذا ما يدل على قدرة اللغة العربية واستطاعتها وسيطرتها على كل ما هو موجود من حيث الألفاظ بحيث نجد في اللسان العربي شيئا واحدا له عدة أسماء وله عدة مدلولات وهذا الأمر نفسه يصدق على الحيوان، إذ أن اللغة العربية أفاضت وأفادت وأدلت بدلوها في حقل هذا الآخر-الحيوان- وأخذت من الألفاظ ما يكفي ويوفي وقد تبين هذا من خلال تلك المعاجم والكتب التراثية واهتمام القرآن الكريم به.

أولا-الحيوان:

أ- التأصيل اللغوي: جمع حيوانات كائن عضوي حي يتحرك، ويتحسس ويتغذى من حيوانات أخرى، أو من المواد العضوية.[1]

كما أن "الحيوان كائن حي الذي يتغذى ويحس ولا يتكلم" [2]، "وكما هو كل ما فيه حي" [3]، بمعنى أنه كائن حي أي فيه حياة غير ميت يعرف بكثرة حركته وتنقله من مكان إلى آخر، وغذاؤه حيوانات من نفس جنسه، أو من فضلاته، وأنه لا يتكلم بل يكتفي بالصمت.

الحيوان هو:«ذو الأربعة أرجل، وهي الفقاريات الأربعة أقدام، وهي الأربعة طوائف الباقية من الفقاريات البرمائيات، والزواحف، والطيور، والثديات، وعلى الرغم من أنّ أفراد هذه الطائفة تظهر فيما بينها الكثير من الاختلافات الشكلية والتشريحية، إلا أنها تتفق في أن لها زوجين من الأطراف، هياكلها

[1] - المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص356.

[2] - أحمد بن نعمان: المفتاح قاموس عربي أبجدي مبسّط، د ط ، ص238.

[3] - قاموس، عربي عربي: دار البرهان، القاهرة، طبعة جديدة، د ط، ص147.

مبنية بنظام موحّد، يعرف بهيكل الطرف الخماسي الأصابع، وحزامها الصدري ، والحوضي مبنيان أيضا بنظام واحد».[1]

لقد تباينت المعاجم في تناول مادة الحيوان بمفهومها وأصلها وشروحاتها ومن أهمها المعاجم القديمة ونجد ما يلي:

ورد لفظ الحيوان تحت مادة(ح-ي-ي): "الحاء والياء والحرف المعتل أصلان، أحدهما: خلاف الموت والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة، فأمّا الأول فالحياة والحيوان وهو ضد الموت والموتان(...)". [2]

الحياة: ضد الموت والحيّ: ضد الميّت، والمحيا مَفْعل من الحياة.

تقول: محياي ومماتي، والجمع المحايي، والحي: واحد أحياء العرب أحياه الله فحي وحيّ أيضا والإدغام أكثر لان الحركة لازمة لم تدغم كقوله تعالى:"**أليس ذلك بقادر على أن يحي الموتى**(سورة القيامة،40).

وقال الشاعر :

وكنّا حسبناهُم فوارس كهمَسٍ حيوا بعد ما ماتوا من الدهر أعْصُرا[3]

من خلال ما تم شرحه في مادة "الحيوان" يتضح أن لفظ الحيوان متفرعة إلى مقامين، فالمقام الأول يتمثل في خلاف الموت وضده، ويعبر عنه بعنصرين: الحياة، والحيوان، والثاني: يتمثل في الاستحياء والاهم هو المقام الأول الذي نحن بصدد التعرف عليه لأنه يشكل مقصود "الحيوان" الذي يجسد الحياة في مقابل الموت.

---

[1] – محمود محمد البنهاوي وآخرون: علم الحيوان، دار المعارف، ص 467.

[2]– أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تح: انس محمد الشامي، دار الحدث للطباعة والنشر د.ط، مصر، القاهرة، 142هـ، 2008، مادة (حي)، ص249.

[3] – الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، مج6، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990، ص 2333.

وقد تبين هذا من خلال ما وجدناه في لسان العرب الذي أفاض في لفظة "الحيوان" مصدر مشتق من الفعل "حيا" على وزن" فَعَلاَن" تدل فيها ولا يحيون، وتدل أيضا على الدار الآخرة، لأن الحياة فيها دائمة لأهل الجنة، أما أهل النار لا يموتون فيها ولا يحيون، وتدل أيضا على كل شيء حيّ له روح، تدب فيه الحياة، كما أورد ابن منظور عدة شروحات عزا منها مثلا: حين يقول إن من بين معاني «الحيوان"عين في الجنة"، أو ماء في الجنة لا يصيب شيئا إلا حي بإذن الله –عز وجل» [1]، ومن هنا يتضح لنا أن لفظة الحيوان تدل على الحياة، وكل ما يتصف بها وكل ما يكون سببا لدوامها وبقائه.

لقد حفلت معاجم اللغة العربية القديمة في شرح وتوضيح معنى كلمة الحيوان ولم تختلف فيما بينها وجاءت بنفس المفهوم والذي ينحصر ويتمحور حول الحياة، الحي وضد الموت، وعند الانتقال إلى المعجم في العصر الحديث نجده لم يخالف ما جاء في المعاجم القديمة ونأخذ عينة من شرح معجم الوسيط التي وردت فيه لفظة " الحيوان"، نجد تحت مادة(ح-ي-ي).

«حي حياة، وحيوانا، كان ذا نماءٍ(...) الحياة النمو والبقاء، والحياة: المنفعة(...)، الحيوان: الحياة»[2].

فالحيوان هنا أيضا يدل على الحياة وكل ما فيها من نماء وحركة، وبقاء ودوام وكل ما يهدى له بصلة، ومن خلال هذا يتضح أنه لا يوجد فرق في شرح لفظة الحيوان في المعاجم القديمة ولا الحديثة، إنما جاءت على نفس الرسل في توضيح هذا القصد المتمثل والمتجسد في الحياة، والنماء والدوام والاستمرارية وكل ما هو متحرك ساري.

[1]- أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب، مج2، تح: عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، د ط، مصر، القاهرة، ج13، مادة (حيا).

[2]- معجم اللغة العربية: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 1425هـ/2004، مادة (حي).

ب- التحديد الاصطلاحي:

لقد تباين مفهوم الحيوان في المعاجم الاصطلاحية على مفهوم محدد فنجد «الحيوان الجسم النامي الحسّاس المتحرك بالإرادة». [1]

فالحيوان هنا جسد له حيّز في الوجود، في حركة نماء، فهو غير جامد، وله حواس تربطه بالعالم الخارجي ويستطيع الحركة بملىء إرادته دون أن يحتاج إلى مساعدة أحد، ونستنتج من هذه المواصفات أنه يمكن أن نسقطها على جنس الحيوان، الإنسان وجنس الحيوان فكلامهما كائن حي، وكلاهما حيوان.

أما عن الفرق بين (الحياة)، والحيوان، "كون الحياة بحسب اللغة عبارة عن قوة مزاجية، تقتضي الحس والحركة، وفي حق الله تعالى لابد من المصير إلى المعنى المجازي المناسب له، وهو البقاء(...) والحياة تستعمل على أوجه للقوة النامية الموجودة في النبات والحيوان، والقوة الحسّاسة، وبه سمي الحيوان حيوانا(...) والحيوان أبلغ من الحياة لما في بناء"فعلان" من الحركة والاضطراب اللازم للحياة والحيوان في الجنة، والحياة في الدنيا". [2]

نجد الجاحظ قد عرف الحيوان بتقسيمه إيّاه إلى «أربعة أقسام شيء يمشي، وشيء يطير، وشيء يسبح وشيء ينساح» [3]، ثم يضيف في موضع آخر «أن الأعجم كل ذي صوت لا يفهم إرادته إلا ما كان من جنسه ولعمري أنا نفهم عن الفرس والحمار والكلب والنسّور والبعير كثيرا من إرادته وحوائجه وقصوده» [4] أي أن الحيوان كائن من بين الكائنات الحية التي خلقها الله سبحانه وتعالى التي لا تفهم ما تريده، ولا عقل

---

[1]- علي بن محمد الجرجاني: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، د ط، لبنان، بيروت، ناشرون،1985م،ص100.

[2]- أيوب بن موسى الكفوي: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، لبنان، بيروت،1419هـ،1998م، ص 406-407.

[3]- الجاحظ: كتاب الحيوان، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، دار النشر، ط2، 1384هـ/1965م،ص27.

[4] - المرجع نفسه: ص 32.

لها، تكتفي بالصمت فقط لهذا ميّز الله الإنسان عنه بميزة العقل، فالإنسان يتكلم والحيوان يصمت فهذا ما يؤكده الجاحظ في كتابه الحيوان «أن الصامت في كل شيء هو حيوان» [1].

والحيوان:«هو جنس الحي والحيوان الحياة، وفي بناء الحيوان زيادة معنى، ليس في بناء الحياة، وهو ما في بناء فَعَلان من الحركات ومعنى الاضطّراب، والحياة حركة " كما أن الموت سكون" فمجيئه على ذلك مبالغة في معنى الحياة، والحيوان والحياة في معنى واحد». [2]

ثانيا–الإنسان:

حظي الإنسان في القرآن الكريم بما لم يحظ به أي مخلوق آخر، في احتفاله به والتنويه بقدره ومكانته بين سائر المخلوقات، وتبدوا عناية القرآن الكريم بالإنسان في أنه المخلوق الوحيد الذي فصل قصة خلقه وبدا ذلك واضحا منذ بداية الوحي، فقد افتتحت سورة العلق بقوله تعالى:﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝﴾.(سورة العلق الآية: 1-2).

كما تتأكد عناية الله بهذا المخلوق حين أعلن عن ميلاده في الملأ الأعلى في احتفال مشهود، ثم كان تمام التكريم والتفضيل أن نفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة.

"وقد وردت آراء مختلفة في بيان حقيقة الإنسان واختلف العلماء في تحديد أصل التسمية، فقيل سمي بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بإنس بعضهم ببعض ولهذا قيل الإنسان مدني بالطبع من حيث لأقوام لبعضهم إلا ببعض ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه، وقيل سمي بذلك لأنه يأنس بكل ما يألفه وقيل سمي بذلك لأنه عهد عليه فنسي. فتسمية هذا المخلوق المتميز ب "الإنسان" تحمل أكثر من دلالة، لأن

[1]– الجاحظ: كتاب الحيوان، ص33.

[2] – كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ص 401.

باستقرائنا للفظ الإنسان في القرآن الكريم الذي ورد في خمسة وستين موضعا نجد أنه يتميّز عن مرادفاته: كالإنس والبشر والناس".[1]

ويذهب القشيري إلى أن:«الإنسان هو الروح والجسد»[2] وهذا التعريف رغم أنه شديد البساطة إلا أنه عميق التعبير عن الرؤية الاجتماعية العامة للإنسان والتي ترى في هذا المخلوق كائنا ذا بعدين صحيحين بمظاهر هو الجسد، وبعد غائب هو الروح.

وقد عرف الجرجاني الإنسان فقال:«الإنسان الكامل هو الجامع لجميع العوالم الاهية والكونية، فمن حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه كتاب محو والإثبات، فهو الصحف المكرمة، المرفوعة المطهرة، التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية».[3]

1- النشأة الإنسانية الأولى:

القرآن لا يعتبر النشأة الإنسانية الأولى معضلة، وإنما هي نشأة يمكن إدراكها بواسطة العقل وفق الأساليب العلمية المتاحة. وكذلك نجد القرآن يشير دائما إلى النشأة الأولية للإنسان، وهو بصدد الكلام عن النشأة الآخرة :﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ (سورة الواقعة، الآية 62).

وهناك دعوة صريحة للتنقيب في الأرض والبحث عن الآثار فيها والنظر من خلال ما يكتشف إلى الكيفية التي بدأ بها الخلق:﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ ٢٠﴾ (سورة العنكبوت،20). إن على الإنسان أن يبحث في الأرض ليعرف كيف بدأ الخلق الأول من الأرض ذاتها، كما أنه على الإنسان أن يبحث في الأرض لمعرفة الأسلاف من الأقوام السابقين والأمم السابقة وطريقة

[1] – حسين شرفة: خلافة الإنسان في الأرض في صور القرآن الكريم، مجلة الأحياء، العدد الثاني، ص340.

[2] – سعيد الشبلي: الإنسان بين القرآن والعرفان، مكتبة حسين العصرية، ط1، 2010، 1431، ص 128.

[3] – الشريف الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان، طبعة جديدة ، 1985، ص39.

معايشها ومستوياتها المدنية والثقافية والحضارية:﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ ﴿٤٤﴾﴾ (فاطر،44).﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ ﴿٤٢﴾﴾.(الروم42).[1]

2- خلق الإنسان:

خلق الله للإنسان معجزة، تماما كمعجزة خلق السموات والأرض وما بينهما، لم يخلقه عقلا مجردا وقال له فكر وتدبر، وسر في الأرض والبحر واصعد الجبال واهبط إلى السهول، ولم يخلقه روحا نورانياً وقال له كل واشرب بلا فم وأسنان ومعدة، ولم يخلقه نفساً وقال له امتنع عن الملذات ولا ترغب، ولم يخلقه جسدا بمفرده وقال له أحب واكره وفكر واعبد. "خلق الله الإنسان معجزة لأن الخلق متكامل، تتفاعل أجزاءه ببعضها ليكون هو كذلك. خلقه جسدا وروحا ونفسا وعقلا وحدد له أطر التفكير والوجدان وبين له حدود جسده وضوابط عقله ونفسه، وسار بهذه المخلوقات كلها ليفكر ويأكل ويحب ويكره ويميز الخبيث من الطيب، ومن ثم ليعرف أن داخل الجسد قوة تحرك وتوقف ما أريد لها".[2]

قال تعالى:﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ (ص، الآية 71،72).

"لقد خلق الله الإنسان خلقاً جمع بين المادة والروح ولقد أثبتت بحوث العلماء التي تم إجرائها على هذا المخلوق أنه مكون من جسم مادي وروح شفافة جسم مشدود إلى الأرض وروح تتطلع إلى السماء، جسم له دوافعه وشهواته وروح تسمو به نحو الله، جسم له مطالب الحيوان، وروح لها أشواق الملائكة،

[1] – محمد أمين جبر: الإنسان والخلافة في الأرض، دار الشروق، ط1، 1419هـ/ 1999م،ص 58.

[2] – حسين الباش: الإنسان في ميزان القرآن، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص5.

ونفس لها طبيعة مزدوجة تحتوي على معنويات الخير والشر، والتقوى والفجور، وبذلك تطابقت بحوث العلماء مع ما جاء من آيات الله بالنسبة للخلق والتكوين".[1]

قال تعالى:﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ (الطارق،5-7).

يقول ابن القيم: «فارجع الآن إلى النطفة وتأمّل حالها أولا وما صارت إليه ثانيا، وانه لو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا لها سمعا أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا بل عظما واحدا من أصغر عظامها بل عرقا من أدق عروقها بل شعرة واحدة لعجزوا عن ذلك، بل ذلك كله آثار صنع الله الذي أتقن كل شيء في قطرة من ماء مهين، فممن هذا صنعه في قطرة ماء فكيف صنعه في ملكوت السموات وعلوها وسعتها واستدارتها وعظم خلقها وحسن بنائها وعجائب شمسها وقمرها وكواكبها ومقاديرها وأشكالها».[2]

3- تكريم الإنسان في ذاته:

"وتكريم الإنسان في ذاته يشمل بنيته المادية وبنيته المعنوية، أما المادية فتتمثل في خلق الله عز وجل الإنسان في أحسن تقويم وتصويره في أحسن صورة مصداقا لقوله عز وجل:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ سورة التين، (الآية04)، وقوله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾سورة الانفطار الآية،(6-8). وقوله سبحانه:﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۝٦٤ ﴾ سورة غافر،الآية (64).

---

[1] – علي محمد محمد الصلابي: المعجزة الخالدة، دار المعرفة، ص281.

[2] – مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، ط2، 1416هـ/ 1996م، ص 226.

ولعل من أبرز مظاهر الحسن في التقويم المادي ... ما خلق عليه الإنسان من وضع في قامته امتد فيه إلى أعلى، وتركزت وسائل الإدراك في طرفها الفوقي، فهو وضع هيأ للإشراف على الظرف المكاني المحيط بالإنسان على أبعاد كبيرة ... فأين هذا التقويم الرفيع من البهيمة التي خلقت منكبة على وجهها".[1]

أما البنية المعنوية فهي أجوبة الأعاجيب التي حيرت العلماء والحكماء ويكفي فيها العقل الذي هو مناط التكليف في أداء وظيفته الخلافة، وقد اعتبر كثير من المفسرين أن التكريم والتفضيل المذكورين في قوله تعالى:﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ سورة الإسراء،(70)، يقصد منه العقل ،فقال الرازي تعليقا على هذه الآية: «إن النفس الإنسانية مختصة بقوة أخرى وهي القوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء كما هي، وهي التي يتجلى فيها نور معرفة الله تعالى ويشرق فيها ضوء كبريائه وهو الذي يطلع على أسرار عالمي الخلق والأمر ويحيط بأقسام مخلوقات الله من الأرواح والأجسام كما هي».[2]

وليس العقل هو الهبة الوحيدة التي من الله عز وجل بها على الإنسان وكرمه وفضله بها على كثير ممن خلق تفضيلا، وإن كانت أعظمها، ولكن هناك مواهب وملكات أخرى نذكر من بينها نعمة النطق والبيان، والتي بواسطتها يستطيع الإنسان التعبير عن أحاسيسه وأفكاره، التي امتن الله بها عليه.

لقد حظي الإنسان بالجانب الأكبر من اهتمام القرآن الكريم، كيف لا وهو سيد المخلوقات الذي سخّر له كل ما في السماوات والأرض، وخصّ بملكة العقل والبيان، فكان أهلا لحمل الأمانة التي عجزت عنها السماوات والأرض والجبال وأشفقت منها وحملها الإنسان.

[1] – عبد المجيد النجار: عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي، مجلة المسلم المعاصر، العدد 72/71، 1994م ،ص33.

[2] – حسين شرفة: خلافة الإنسان في الأرض في ضوء القرآن الكريم، ص349.

لقد بين القرآن مبدأ خلق النوع البشري، ثم سنة الله في تطوره وتكاثره من الزوجين الذكر والأنثى وبين أطوار خلقه في الظلمات الثلاث داخل القرار المكين إلى أن يخرج خلقا آخر مكتمل الخلقة سويها، كما تحدث القرآن الكريم عن خصائص هذا الإنسان الذي أكرمه ربه من بين سائر المخلوقات، إلا أن الإنسان كثير ما يتنكر لهذه النعم ويسيء الأدب مع خالقه المتفضل عليه بالنعم الوافرة، كما يتحدث القرآن عن مصير الإنسان باعتباره كائنا حيا فمصيره الموت، ثم البعثُ والنشور للحساب.

إن دراسة الإنسان من خلال آي الذكر الحكيم لن يصل إلى دقائق أسرارها جيل من الأجيال مهما بذلت الجهود من المختصين، ومهما رصدت الأموال للأبحاث في مخلوق يكتنف الغموض جوانب كينونته وتلتف الأسرار حقيقة ماهية.

ثالثا: الحيوان في القرآن الكريم

"قبل أن يهتم العلم الحديث بالحيوان ويخصص له الدراسات المستقلة والمعاهد الخاصة بدراسته نجد أنّ القرآن يسبقه بأربعة عشر قرنا واثنتي عشر سنة من الزمن، بالدعوة إلى دراسة الحيوان وتوجيه النظر إلى ملاحظته ومتابعته ومراقبته للوقوف على بعض أسرار معيشته، وما يمكن الإنسان من الوقوف على بدائع حياته".[1]

لقد تحدث القرآن الكريم عن الحيوان بما يدفع العقل البشري إلى التفكر والتأمل في خلق من مخلوقات الله تبارك وتعالى، وأخذ العبرة منها، وقد تعددت التوجيهات القرآنية في هذا المبنى من أهمها:

أ/ تسمية بعض سور القرآن الكريم بأسماء بعض الحيوانات منها: (البقرة، الأنعام، النحل،النمل، العنكبوت، الفيل، العاديات...).

ب/ بين القرآن الكريم أكثر من ثلاثين صنفا من أصناف الحيوانات الأليفة والمتوحشة والطيور والحشرات والزواحف وغيرها، وقد تكررت أسماؤها فيه في أكثر من مائة وخمسين مرة.

ج/ ضرب الأمثال المختلفة ببعض الحيوانات دون سواها لإعجاز في خلقها، كناقة النبي صالح- عليه السلام- والدعوة إلى التفكر والتأمل في الإبل وخلقها في قوله تعالى:﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾(سورة الغاشية،17). وضرب المثل في بالبعوضة في قوله:﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ۝٢٦﴾.(سورة البقرة، 26).

[1] – محمد محمود عبد الله: القرآن وعالم الحيوان، ط1، دار الشواف للنشر والتوزيع، ص 9.

د/ توجيه الفكر الإنساني إلى إمكانية استغلال المنتجات الحيوانية والاستفادة منها في مختلف المجالات لقوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ ۙ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠﴾.(سورة النحل،80).

1- الحيوان وعدد ذكره في القرآن:

وقد ورد ذكر الدابة والدواب ثماني عشرة مرة، في آيات التنزيل، مثل قوله سبحانه:﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ ٤٥﴾.(سورة النور، الآية45)، وقوله عز وجل:﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ١٨﴾ (سورة الحج، الآية 18) في الآية الأولى بيان في مادة الخلق والتكوين للدواب وهي الماء، وفي الثانية بيان الحكمة في خلق الدواب وهي السجود لله تعالى والتسبيح بحمده كسائر المخلوقات بما فيها الأجرام العظام.

بينما أفرد القرآن ذكر أصناف من الحيوان مرة واحدة في بعض سوره، مثل البعوضة، في سورة البقرة في قوله عز وجل :﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ٢٦﴾(سورة البقرة، الآية26).

ومثل الجمل ، فقد ذكر مرة واحدة في سورة الأعراف في قوله سبحانه وتعالى:﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ ٤٠﴾(سورة الأعراف، الآية40).

وقد أورد القرآن العظيم ذكر الغراب مرتين لا ثالث لهما في سورة المائدة، الأولى:﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ والثانية ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ﴾(سورة المائدة، الآية31).

وقد جاء ذكر الهدهد مرة واحدة في سورة النمل في قوله عز وجل:﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ ﴿٢٠﴾﴾.(سورة النمل، الآية20)

كما جاء ذكر الفيل مرة واحدة أيضا في قوله سبحانه:﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴿١﴾﴾(سورة الفيل، الآية1).

وجاء ذكر الضأن والمعز مرة واحدة أيضا في سورة الأنعام في قوله تعالى:﴿مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ ﴿١٤٣﴾﴾(سورة الأنعام، الآية143)

وكذلك السبع ذكر مرة واحدة في قوله سبحانه في سورة المائدة :﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ ﴿٣﴾ ﴾ (سورة المائدة، الآية3)

بينما جاء ذكر النمل ثلاث مرات، مرة بالإفراد، وهي قوله سبحانه:﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ ﴿١٨﴾ ﴾ والثانية بالجمع في قوله عزّ ذكره:﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ والثالثة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ ﴾(سورة النمل، الآية18).

كما جاء ذكر الإبل مرتين، قال تعالى:﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ (سورة الأنعام 144)، والثانية قوله:﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ ﴾ (سورة الغاشية، الآية17).

أما لفظ الأنعام، وهي الأغنام، والإبل، والبقر، والماعز، فكلما ذكر فهو يعني هذه الأصناف الأربعة وقد تكرر في اثنتين وثلاثين مرة من مواضع التنزيل في مثل قوله سبحانه:﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ ﴿٦٦﴾ ﴾ (سورة النحل، الآية66)، والعبرة في الأنعام هي خروج اللبن من بين فرث –أي الكرش– ودم لبنا خالصا

سائغا طعمه للشاربين. وفضلا عن تعدد منفعة الأنعام للإنسان فإن الحق تعالى سخر للإنسان كل شيء ليتفرغ الإنسان لطاعته دون سواه.[1]

بينما ذكر لفظ "بهيمة" الأنعام ثلاث مرات في مواضع التنزيل في مثل قوله عز وجل:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾.(سورة المائدة،01).

كما جاء ذكر حيوانات بأسماء أصنافها مثل العجل، فقد تكرر ذكره عشر مرات في مواضع التنزيل مثل قوله عز ذكره:﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَـٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ ٥٤﴾(سورة البقرة، الآية54).

وذكر لفظ البقر تسع مرات، مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيۡنَا ٧٠﴾سورة البقرة، 70).

وذكرت الناقة سبع مرات،مثل قول الله تعالى:﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَـٰهَا ١٣﴾ (سورة الشمس، الآية13).

كما ذكر لفظ الخنزير خمس مرات في مجمل آيات التنزيل، مثل قوله عز ذكره:﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ ١٧٣﴾ (سورة البقرة، الآية173).

وتكرر لفظ الحمير خمس مرات أيضا في مثل قوله جلّ وعلا:﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ (سورة لقمان، الآية19).

[1] – محمد محمود عبد الله: المرجع السابق، ص 12.

وكذلك الكلب تكرر ذكره خمس مرات أيضا في مثل قوله عزّ وجلّ :﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ ﴿١٨﴾﴾ (سورة الكهف،الآية18).

أمّا الخيل فتكرر لفظه خمس مرات في مثل قوله تعالى:﴿ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ ﴿١٤﴾﴾(سورة آل عمران، الآية 14).

وجاء ذكر الخيل بلفظ الجياد مرة واحدة في القرآن العظيم جميعه في قوله سبحانه:﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ (سورة ص، الآية31).

وجاء ذكر لفظ النعجة أربع مرات في آيات التنزيل في مثل قوله عزّ شأنه:﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ ﴿٢٣﴾﴾ (سورة ص، الآية23).

أمّا لفظ الغنم فورد ثلاث مرات في مواضع التنزيل، في مثل قوله سبحانه:﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ (سورة طه، الآية18).

كما ورد لفظ البغال مرة واحد في القرآن جميعه، مثل قوله عزّ وجلّ:﴿وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ ﴿٨﴾﴾ (سورة النحل،الآية 8).

وورد ذكر القردة ثلاث مرات في القرآن جميعه في مثل قوله عزّ وجلّ:﴿فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾(سورة البقرة، الآية65).

وكذلك ذكر الذئب ثلاث مرات في مواضيع التنزيل في مثل قوله سبحانه على لسان يعقوب:﴿ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ ﴿١٣﴾﴾ (سورة يوسف،الآية 13).

أما ذكر لفظ الطير فذكر عشرين مرة في آيات التنزيل في مثل قوله عزّ وجلّ:﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ ﴿١٠﴾﴾ (سورة سبأ، الآية10).

أما الحشرات فذكر منها النمل، حيث ورد لفظه ثلاث مرات في آية من سورة النمل:﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ ﴿١٨﴾﴾ (سورة النمل، الآية18).

ومن الحشرات الذباب، وقد ذكر مرتين في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ﴿٧٣﴾﴾ (سورة الحج، الآية73).

وكذلك حشرة الجراد ذكرت مرتين في مثل قوله تعالى:﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ (سورة القمر، الآية7).

وقد ورد ذكر لفظ الجراد في التشبيه لحال الخلق عند قيامهم من القبور للحساب والجزاء يوم القيامة فشبههم القرآن بالجراد في قيامهم وانتشارهم.

وجاء ذكر العنكبوت وهي حشرة مرتين في قوله عزّ وجلّ:﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ (سورة العنكبوت، الآية41).

وجاء ذكر القمل والضفادع مرة واحدة لكل منهما في قوله عزّ شأنه:﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ ﴿١٣٣﴾﴾ (سورة الأعراف، الآية133).

كما جاء ذكر الحية وهي من الأفاعي مرة واحدة في قوله:﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾(سورة طه، الآية20).

وجاء لفظ الثعبان وهو من جملة الأفاعي أيضا مرتين في آيات التنزيل في مثل قوله: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ (سورة الأعراف، الآية107).

ولقد ذكر القرآن الكريم الأسماك على اختلاف ألوانها وأنواعها بلفظ اللحم الطري فجاء ذكر السمك ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وذلك في أفراد تعدد النعم الإنسان سواءاً في البر أو البحر، وورد لفظه مرتين في مثل قوله عز وجلّ:﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴿١٢﴾﴾ (سورة فاطر، الآية12).

وقد ورد ذكر الحوت وهو أقوى الأسماك وأكبرها حجما خمس مرات في آيات التنزيل في مثل قوله عز وجل:﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ (سورة الصافات، الآية142).

2- الحيوان وعدد مرات ذكره في القرآن:[1]

الدابة	18	البغال	1
البعوضة	1	القردة	3
البقرة	1	الذئب	3
الجمل	1	الطير	20
الغراب	2	الجراد	2
الهدهد	1	الذباب	2
الفيل	1	العنكبوت	2
الضأن والماعز	1	القمل	1
السبع	1	الضفادع	1
النمل	3	الحية	1
الإبل	2	الأفاعي	2
الأنعام	32	السمك	2
بهيمة	3	النحل	1
العجل	10	الغنم	3
البقر	9	الحمير	5
الناقة	7	الكلب	5
الخنزير	5	الخيل	5

[1] - محمد محمود عبد الله :القران وعالم الحيوان ،ص16.

3- قصص من القرآن الكريم:

أ- لمحة عن قصة الغراب :

استطاع الحيوان أن يشغل مخيلة الإنسان منذ العصور الغابرة، ولعل أول محطة تستوقفنا في مسيرة الحياة البشرية هي مشهد من مشاهد بداية الخليقة، يشاء القدر فيها أن يتتلمذ الإنسان على يد الحيوان ويفقه التعامل مع جسد فارق الحياة.

ويعتبر الغراب شاهد الإثبات الوحيد في أول حادثة قتل تقع على وجه الأرض، منشأها وسببها الأول هو الحقد، وقد أوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام أن يزوج أبناءه بالعكس، أي ذكر البطن الأول إلى أنثى البطن الثاني، وكذلك يكون الحال في جميع أبنائه، ولكن قابيل لم يرض بعدالة التشريع الإلهي لإعمار الدنيا، رفض قائلا أن توأمة هابيل دميمة لن أتزوجها، وأنا أحق بتوأمتي الجميلة الحسناء، قال له آدم يا بني هذا حكم الله فينا. وتملك الحقد قلب قابيل ووقع ما لم يكن في حسبان آدم.[1]

وقد صورت هذه الحادثة في أجمل معانيها منبئة بهول الموقف الذي واجهه الإنسان أمام ظاهرة الموت وسلوك الغراب اتجاه هذه الظاهرة، وفي قوله عز وجل:﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ ﴿٣١﴾﴾ (سورة المائدة، الآية31).

ب- لمحة عن قصة الناقة:

لقد شاءت إرادة الله تعالى أن يرسل إلى ثمود رسولا منهم، فاصطفى أكثرهم نقاءً وطهراً، وأحرصهم توحيدا لله وذكراً، هو صالح عليه السلام، وقال لقومه الكلمة التي أرسل الأنبياء جميعا من أجلها:﴿ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴿٥٩﴾﴾(سورة الأعراف، الآية59). وهذه الدعوة تكون صعبة شاقة

[1] – محمد محمود عبد الله: القرآن وعالم الحيوان ، ص130.

على من وجدوا آبائهم يعبدون الأصنام أو الأوثان أو أي شيء مما عبد من دون الله عز شأنه:﴿قَالُواْ يَـٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ (سورة هود، الآية62).

ويستمر الجدال: قالوا أثبت لنا أنك مبعوث من الله، لأننا نشك في دعواك، فلم لا تقدّم لنا برهانا عليها. قال صالح: ماذا تريدون؟ قالوا: قدم بينة على نبوتك.. سألهم ماذا تردون؟

قالوا هذا الجبل القريب لماذا لا يلد ناقة، لماذا لا تدعوا الله أن يخرج من الجبل ناقة؟ قال: وتصدقون إني مرسل؟ قالوا: نعم، فدعا صالح ربّه أن يجيب القوم إلى طلبهم، فخرجت من صخور الجبل ناقة، هكذا كان ميلاد الناقة بكلمة الخالق المقتدر عز شأنه، قال لها: كوني فكانت، فوجئوا حين رأوا ما طلبوا قد تحقق واعترفوا أن صالحا مرسل من ربه.. قال لهم صالح: إن الله وعدكم بعذاب قريب إذا مسّ أحدكم الناقة بسوء. وأن الناقة سترعى في أرض الله، فلا أحد يعترض طريقها أو يمسها بسوء، وأخبرهم صالح أن الماء قسمة بين القبيلة وبين الناقة﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ (سورة هود، الآية 64).

أما قسمة الماء فجاءت في قوله تعالى:﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ (سورة القمر، الآية28).

وفي يوم الناقة، تعطيهم لبنا يشربونه بدلا من الماء فهي بقدرة الله تكفي القوم جميعا، ولكن شق هذا على المعاندين الجاحدين من الكفار، فأخذوا يفكرون في ذبح الناقة، وكان صالح قد حذرهم من ذبح الناقة، أو أي مساس لها بسوء أخذوا يفكرون التخلص منها، وشعشعت كؤوس الخمر في رؤوسهم: إن وجود الناقة يهدد النظام الحاكم. وانتهى بهم المطاف إلى ذبحها.

وقد سجل القرآن مواقف ثمود صالح وتكذيبهم إياه، وما نزل بهم من العقاب الإلهي.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾.(سورة الشمس، الآية11-15).

وكانت نهايتهم أن أهلكهم الله بالطاغية:﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ (سورة الحاقة، الآية5).

ج- لمحة عن قصة النملة:

يدور المحور الرئيسي لسورة (النمل) حول إخلاص الإيمان بالله تعالى وحده، وإخلاص العبادة له سبحانه وحده بغير شريك، ولا شبيه ولا منازع ولا صاحبة ولا ولد لان هذه كلها من صفات المخلوقين والله تعالى منزه عم جميع صفات خلقه؛ ولذلك كان توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل وصف لا يليق بجلاله هو صلب رسالة السماء إلى المخلوقين من لدن أبينا آدم إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين.[1]

ذكر الله تعالى قصة نملة سليمان في محكم التنزيل من الذكر الحكيم كيف تحدث إلى النبي ، كيف أخبرته أن الله تعالى أعطاها من الكشف الحجابي ما لم يصل هو إليه، حينما أتى بجنوده من الجن والإنس والطير فيما سجله عنها القرآن العظيم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴿١٩﴾﴾ (سورة النمل،18-19).

[1] - زغلول راغب محمد النجار: من آيات الإعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، ط1، ص54.

قالت: أتحسب أنني أخشى على القوم أن تحطمهم بجيوشك وقوتك؟ قال نعم، قالت: لا أنني أخشى أن ينظر القوم إلى جيوشك وملكك فيفتتنوا بزينتك، فتحدث الفتنة فيهم غفلة عن ذكر الله وتسبيحه، فيكون في التحطيم هلاكهم بسبب الغفلة. هذا هو التحطيم الذي أقصده، هكذا أفهمت النملة سليمان.[1]

رابعا– الحيوان في التراث العربي:

لقد حفل التراث العربي بحضور "الحيوان" شعره ونثره، وكان مرآة عاكسة لتفاعل الإنسان مع بيئته وكان جزءا من صورة الحياة، التي لا تكتمل بدونه، حيث كان للحيوان حيز كبير في نفوس الشعراء الجاهليين، حيث عمدوا للحديث عنه في أشعارهم وقصائدهم وأصبحوا يتغنوا به، ويصفون جسمه وطباعه، وحركاته، وأظهروا تعلقهم وارتباطهم الشديد به.

فقد كان الحيوان هو مصدر مهم للإنسان في حياته اليومية منه يأخذ واليه يصير فقد ساعد الحيوان الإنسان في رسم معالمه الزمنية التاريخية، وكما ارتكزت حياة الإنسان على هذا الكائن فقد شد رحاله وبه اعتزم عليه في اختراق العديد وهذا دليل على أهمية الحيوان في حياة الإنسان واعتماده عليها في جل غمار حياته اليومية والدليل على ذلك أنه في الجاهلية وجد العديد من الأشخاص والقبائل بأسماء الحيوانات التي كانت تعيش معه وتعايشه وهذا يعد تفاؤلا وتيمنا بصفات الحيوانات الدالة على القوة والصبر والتحمل والجد.

كما تبين على الإنسان الجاهلي بعد صفات الحيوان، وذلك لمعايشته والتعود عليه وخبره، فأصبح الإنسان في بعض الأحيان يتصف بصفات شتى فكان خبيثا وأحمق وطورا صادقا، وهكذا مثلا كإلصاق صفة الخُبْث بالذئب ومن هنا يتضح أن الشعراء والأدباء الجاهليين قد تفننوا في تناول الحيوانات بمختلف

[1]– محمد محمود عبد الله: المرجع السابق ،ص 135.

أصنافها في أشعارهم ودواوينهم وقصصهم وأمثالهم، وإلى ما ذلك ونستهل في البداية الحديث الحيوان والشعر خصوصا لتواجده بكثرة فيه.

1-الحيوان في الشعر العربي:

كان للحيوان الأثر الكبير في نفوس الشعراء، لارتباطهم به، وحاجتهم إليه، لذلك أكثروا الحديث عنه في أشعارهم وقصائدهم، فوصفوا جسومه، وطباعه وحركاته، وصلتهم به وحبهم له، ومن نتائج هذا الاهتمام والارتباط والتعلق أنهم كانوا يسمون أبنائهم بأسماء الحيوان، كأسد، وكلب، ونمرة وثعلبة، وذئب وقد أكد على هذا الجاحظ في أحد أقواله:«العرب إنما كانت تسمي بكلب وحمار وقرد على التفاؤل بذلك».[1]

وقد تم توضيح تفاؤلهم هذا بأنه يدل على صفة يتمتع بها الإنسان مشتقات من الحيوان فالذئب للفطنة، والحمار طول البقاء والقوة، والكلب لليقظة والفطنة والكسب أيضا.... وهكذا .

لقد كان لهذه الحيوانات الصيت الكبير والحظ الوفير في أشعار الجاهليين، بل أن معظم الشعراء قد وقفوا وقفة مطولة على أحد هذه الحيوانات المتعارف عليها آنذاك في وصفها والتغزل بها والتحدث عنها في سيرها وجلدها وعدوها وكل حركة تقوم به.

ويبدوا أن أهم حيوان حظي باهتمام الشعر الجاهلي هو الناقة، فلقد كثر ذكر الناقة ووصفها في الشعر الجاهلي بصورة لافتة للنظر لان معظم الشعراء صب اهتمامه وارتكازه في وصف هذا الحيوان.

ونجد أن الناقة زاحمت باقي الحيوانات الأخرى في التصوير في الشعر الجاهلي، خاصة في شعر المعلقات، وقد أطال بعض الشعراء في وصف الناقة كما فعل: طرفة، وزهير بن أبي سلمى، وأوس بن

[1]- الجاحظ: الحيوان، ج1، ص 27.

حجر، وبشر بن أبي حازم، وقد تكررت الصورة التي قدموا بها الناقة مرتبطة بأنماط فنية تغلب عليها النمطية.[1]

أي أن وصف الناقة أصبح تقليدا تتبعها شعراء القصيدة الجاهلية حتى صار موضوعا نمطيا، يلتزم ويتحكم على كل شاعر أن يتناول هذا الموضوع ويتفنن فيه.

"لقد صور شعراء المعلقات الناقة في ثلاث صور رئيسية، ناقة للسفر وحمل الأثقال، وناقة لقرى الضيف، وناقة أخرى سانية".[2]

أي أن الشعراء الجاهليين قد تفننوا في وصف الناقة بحيث لكل ناقة شعرها الخاصة بحسب وظيفتها وتوزعت وتفرقت أشعار هذا الحيوان- الناقة- على ثلاث مستويات تعود حسب الغرض وفي هذا يقول طرفة ابن العبد .

واني لأمضي الهم عنّد احتضاره ** بعَوجاء مر قال تـروح وتغتـــذي [3]*

أمون كألواح الأران نصاتهـــا ** على لا حب كأنه ظهـــر يرجـــد

جمالية وحبـاء تردي كأنهـــا ** سفنجـــة تـــبري لازعـــر اربـــد

تبـــارى عتياقـــا واتبعـــت ** وظيفـــا وظيفـــا فوق مـــور معبّد[4]

---

[1]- حسنى عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي، قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، ط1، مصر، القاهرة، 1421هـ، 2001م، ص 466.

[2] - نصرت عبد الرحمن: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحزين، دار المعارف، د ط، القاهرة، مصر، ص 77.

*-احتضاره: الحضور/ العوجاء: الناقة النشيطة التي لا تستقر في مشيتها.

الأمون: الناقة التي يطمئن الراكب لها، الإران: الثابوت الكبير.

أزعر: قليل الشعر/أربد : الذي لونه لون الرماد، عتاقا: العتيق الكريم .

الناحيات: المسرعات في السير/الوظيف: ما بين الرسغ والركبة.

[4]- ديوان طرفة بن العبد: شرح وتقديم مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، لبنان، 2002، ص20.

ومن هنا يتضح أن طرفة بن العبد قد تفنن في وصف الناقة بمختلف عناصرها الشكلانية والجسمية والحركية ولم يبق على شيء وذكره من مثل القوة والسرعة والنشاط والحيوية والصبر والأمان، مفصلا ذلك في كل شطر من شطور القصيدة ومهتم بكل عضو من أعضائها.

وقد سار مجموعة من الشعراء على ما جاء به طرفة بن العبد من مثل الأعشى وامرؤ القيس الذي كان يفتخر بجسم ناقته وشدتها إلى جانب ذلك نجد الحارث بن حلزة هو الآخر قد سرد كل صفات القوة والصلابة أثناء وصفه لناقته، ونجد عنترة بن شداد كذلك يساندهم في هذا الوصف يزخر به.

وإذا انتقلنا إلى الفرس عند الشعراء الجاهليين فهي تحتل المرتبة الثانية بعد وصف الإبل "وان المتأمل في شعر المعلقات يلحظ أنهم صوروا الخيل بمظهرين أصول الفرس المتغيرة التي تشارك الفرسان الحروب والاغارات وخيل مخصوصة للصيد، ولكل صنف أوصافه الخاصة وفي هذا القول يقول امرؤ القيس يصف فرسه:[1]

وقد اعتدي والطير في وكناتها ** بمنجـــره قـــد الاوابـــد هيكـــل

مكر مفر مقيـل مدبـر معـــا ** كجلمود صخر حطه السيل من عل

كميت يزل اليد عن حال متنه ** كمـــا زلت الصفـــواء بالمتنـــــزل

له ايطـلا ظبي وساقـة نعامـة ** ورخـــاء سرحـــان وتعريـب تتفـــل [2]

وبهذا فقد شبه امرؤ القيس الفرس بمختلف الحيوانات الموجودة آنذاك بالطير في السرعة والذئب في الذكاء والكلب في الفطنة والى ما ذلك من الأوصاف التي كانت تمتاز بها عن باقي الحيوانات الأخرى.

---

[1]–حسين عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي، قضاياه وفنون ونصوص، ط1، مصر، القاهرة، مؤسسة المختار للطباعة والنشر 200/1421م، ص 455.

[2] – ديوان امرؤ القيس: شرح: عبد الرحمن المصطفاوي: ط2، لبنان، بيروت، دار المعرفة، 2004،1425،ص 58.

ونجد كذلك مجموعة كبيرة من الحيوانات الأخرى التي قال فيها الشعراء مختلف أشعارهم المتنوعة بين تغزل ومحبة فيها وتشاؤم ومن مثل هذا نجد الغراب الذي يشكل للدنيا رمز تشاؤم وهو كذلك عند العرب القدامى.

" وارتبط اسم الغراب عند العرب بالتشاؤم ، وكان الغراب رمز اللين والفراق والموت أشد أنواع الفراق."[1]

ولهذا شكل الغراب حاجزا لدى الشعراء العرب ولم يتناولهم على مستوى كبير إنما كان هناك بعض الشعراء اهتموا به، نجد النابغة قد تغنى بيئته كذلك في قوله: [2]

ولرهــط حراب وقد سوره ** في المجد ليس غـرابها بمطــار.

وبهذا نلاحظ رغم أن العرب كانوا يتشاءموا من الغراب ويعتبرونه رمزا للكآبة والنحس والحظ السيئ إلا أنهم قد أبدعوا في وصفه وتجسيده في أشعارهم المختلفة.

[1] – ديوان النابغة: شرح عناصر الحي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1991، ص 195.

[2] – ديوان النابغة الدبياني: شرح عناصر الحي، الخطيب البزيري، ص 54.

2-الحيوان في الأمثال:

كما صور الشعراء بجمعهم مختلف الحيوانات من مثل البغل والطيور والزواحف والى ما ذلك بحسب أصناف الحيوان وتفننوا في وصف أشكالها وحركاتها وسكناتها.

وكان للحيوان من كل هذا الحظ الوفير ليس في الشعر وحده بل تعدى ذلك إلى النثر من أمثال وحكم وكتب وقصص فنجد كذلك للحيوان في الأمثال العربية نصيب وافر يحتل الصدارة ويزاحم الكائنات الأخرى في الوصف والشعر، وسنتطرق الآن إلى جملة من الأمثال التي ذكر فيها اسم الحيوان.

والأمثال في حقل الحيوان لا تعدّ لا تحصى، إلا أن الشعر في هذا الباب هو الغالب، وقد قيل في هذا الصدد «وقلّ معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة، وقرأناه في كتب الأطباء والمتكلمين، إلا ونحن قد وجدناه، قريبا منه في أشعار العرب والإعراب، وفي معرفة أهل لغتنا وملتنا».[1]

وهنا يتضح لنا جليا بأن مهما اختلفت مواضيع القصائد في الجاهلية إلا وكان للحيوان نصيب من الذكر فيها حتى ولو كان بالرمز أو الصفة التي يحملها بدون ذكر لاسمه.

عرف ابن سلام الهروي(ت 224هـ) الأمثال إذ يقول:«الأمثال وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجتها في المنطق، بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه». [2]

أ- الإبل:

قالوا استنوق الجمل " يضرب مثلا للرجل الواهن الرأي المخلط في كلامه.

[1] - الجاحظ: كتاب الحيوان، المرجع السابق، ص 268.

[2] - ابن سلام الهروي: الأمثال من الكتاب والسنة، ج1، ص 30.

وقالوا: اتخذ الليل جملا يضرب مثلا الرجل يجد في طلب الحاجة يقال شمر ذيلا وأدرع ليلا، هكذا قال بعضهم وقال آخرون معناه ركب الليل في حاجته، ولم ينم حتى نالها.[1]

وقالوا: اخلف من بول الجمل"من الخلاف وذلك أنه يبول إلى خلف.[2]

وقالوا: الذود إلى الذود إبل يرد أن القليل إذا جمع إلى القليل كثر.[3]

ب– البغل:

أما بالنسبة للبغل فهو جاء على نفس المنوال بالنسبة للحيوانات الأخرى وضرب فيه أمثال منها:

قالوا: قيل للبغل من أبوك قال خالي الفرس" يضرب المثل للرجل يفخر بكل شيء لغيره خير منه.[4]

وقالوا: البغل بغل" وهو لذلك يضرب مثلا لمن لا يرجى خيره لخسة أصله.[5]

ج– الفيل:

قيل رجل فيل الرأي" أي ضعيف الرأي ورجل فال، أي ضعيف الرأي، مخطئ الفراسة، وقد قال الرأي يفيل فيولة، وفيل رأيه تفييلا، أي ضعفه، فهو فيل الرأي.[6]

"وقالوا: آكل من فيل" وأعجب من خلق فيل" وأثقل من فيل.[7].

د– البقرة:

قالوا: بقرة بني إسرائيل" دلالة على الشيء يأمر به السيد فيجنح فيه المسود ويسد الأمر فيه على نفسه.[8]

---

[1] – أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ج1، ص 54.

[2] – المرجع نفسه: ج1، ص 88.

[3] – المرجع نفسه: ج1، ص 434.

[4] – المرجع نفسه، ج2، ص 109.

[5] – المرجع نفسه، ج2، ص 434.

[6] – القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج22، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006، 477.

[7] – أبو هلال العسكري: المرجع السابق، ج1، ص ص 201، 565.

[8]– المرجع نفسه، ج2، ص201.

ومن هنا يتضح لنا أن العرب كانوا يضربون لمختلف الحيوانات مهما اختلفت في تركيبتها وتباينت في عددها إلا وضرب لها مثل في مختلف المجالات. وهذا دليل على الصلة الوثيقة الموجودة بين عالم الحيوان والإنسان واعتماده الوثيق بين هذين الكائنين لأنها تعد من أهم وابرز العناصر الموجودة في هذا الكون التي خلقت لتسيير الإنسان.

3- الحيوان والكتب العربية:

إن الحديث عن الحيوان لم يقتصر على لسان الشاعر الجاهلي أو على لسان الحكاوي أو لسان الحكيم أو على لسان القاص، وإنما تجاوز ذلك بكثير وخاض الحديث عنه من طرف الكتاب والأدباء والمؤلفين طريق طويل إلى أن اعتل مناصب متفرقات الكتب هنا وهناك، فنجد أن الحيوان قد احتل الصدارة في مجموعة من المؤلفات والكتب التي ألفها العرب في هذا الحقل الخاص به، والتي شكلت فارق كبير بين أهم المؤلفات العربية، حيث قدموا مجموعة لا يستهان بها من الكتب التي جعلت من الحيوان مادة مفعمة حيوية وموضوعا مهما يتمحور حولها أهم دراسات الدارسين والباحثين، في هذا المجال وغيره لا يمكن حصره في زاوية معينة، وإنما تعدى ذلك إلى زوايا أخرى نحن بحاجة إليها من مثل أوصاف الحيوان ورموزها وتشفيرها وأنواعها وتعددها المختلف وحتى تركيبها الجسماني وفعاليتها ودورها وحتى وجودها كعنصر حي فعال في الأرض والطبيعة بصفة خاصة ووجهة عامة، وقد تباينت هذه المؤلفات واختلفت بحسب النوع الواحد وبحسب الحلال والحرام والحديث عن الغرائب والعجائب، وإلى ما ذلك ومن هنا يتم عد هذه المؤلفات والكتب التي تخص حقل الحيوان إلى ما هي موجودة بين أيدينا أهمها:

1- الرسائل والمؤلفات التي بحثت في نوع واحد من أنواع كالخيل والإبل والبغال وال....الخ.

2- مؤلفات تحدث فيها أصحابها عن طبائع الحيوان وسلوكاتهم.

3- مؤلفات تتحدث عن غرائب المخلوقات من الحيوان.

4- مؤلفات تتحدث في الشرع الإسلامي عن الحلال والحرام في أكل الحيوان.

5- مؤلفات تتحدث عن الحيوان بصفة عامة.

وقد تناولت هذه الكتب والمؤلفات والمعاجم بين ما هو قديم وما هو حديث معاصر، ولكن لم يخلو ذكر للحيوان ومنها.

إن الحيوان واكب تطور الحياة الفكرية العربية قبل الإسلام وبعده، من العصر الجاهلي الذي نجد فيه الحيوان يحتل مساحة واسعة في البيئة الصحراوية، كالخيل والجمال والغزلان والوعول والطير وغيرها، فقد كانت العرب تتغنى في أشعاره بذكر أوصاف وميزات الحيوان.

«كل هذا ولم نعثر في فترة العصر الجاهلي على أية كتب مخصصة لدراسة الحيوان حتى صدر الإسلام، حيث قام علماء اللغة بتبويب أسماء الحيوان في معاجمهم اللغوية على أن هذه كلها أبواب من اللغة، ومن هؤلاء نذكر الأصمعي في كتبه الكثيرة عن خلق الإنسان، وكتاب الوحوش وغيرها». [1]

ولم تتوالى الكتب عند الأصمعي فقط بل تعدت إلى كل من ابن الأعرابي "في كتابه الخيل، وأبي عبيدة، وابن الكلبي، وكتب الإبل للسجستاني والأصمعي نفسه".[2]

«وقبل كل هذا لا يمكننا أن ننسى كتاب "الحيوان للجاحظ" في القرن التاسع الميلادي، الذي ألم بكل ماله علاقة بالحيوان».[3]

وهكذا مهد الجاحظ لظهور مؤلفات عربية تهتم بالحيوان، كما نجد إلى جانب هذه المؤلفات مؤلفات كثيرة من مثل "زكريا بن محمد بن محمود القزويني" في كتابه "عجائب المخلوقات"، ونجد كذلك

---

[1] كمال الدين محمد بن موسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، ص10.

[2] المرجع نفسه، ص10.

[3] المرجع نفسه، ص11.

"نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" "لمحمد بن طالب الأنصاري".[1]، كما لا ننسى أيضا مؤلفات أخرى والتي تغنت بذكر حياة الحيوان ووصفه من مثل كتاب المخصص لابن سيده، وكتاب فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي.

"وكتاب الخيل، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي وكتاب الشاء".[2]

وقد كان كتاب المخصص لابن سيده يشتمل على مجموعة الكتب التي اختصت بالحيوان والذي جاء في شكل واحد وعشرين كتابا وأربعين وثلاثمائة باب وست وعشرين وتسعمائة سفر ذكر حول الحيوان كتاب الخيل وكتاب الإبل وكتاب الغنم تحدث فيها ابن سيده عن صفات وأعضاء وحمل ونتاج وألبان وأصوات وعيوب الحيوانات.

وبهذا يكون قد أخذ الحيوان الصدارة في المؤلفات العربية: القديمة والتي تضاءلت بشكل صغير وتوسعت بشكل كبير حديثا لأهميتها.

[1] كمال الدين محمد بن موسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى ، ص11.

[2]- الأصمعي: الخيل: تحقيق حاتم صالح الضامن، دار السائر للطباعة والنشر، ط2، 2009، ص137.

خامسا–الحيوان في حي بن يقظان:

تعد قصة حي بن يقظان إحدى كلاسيكيات الأدب العربي القديم، ورائعة من الروائع الفكرية والأدبية في تاريخ الأدب العربي قديما وحديثا، حيث يتميز هذا الأثر النفيس بمحتواه الفكري و الفلسفي العميق الأبعاد والرحب الآفاق بخياله الخصب، وبنائه الطريف، جمع فيها ابن طفيل بين الفلسفة والأدب والدين والتربية في قصة ذات مضامين فلسفية عميقة، تتضمن عناصر النموذج المعرفي الأساسية المتمثلة في (الإله / الإنسان / الطبيعة).

كما تتطرق إلى أبعاد العلاقة بين هذه العناصر، وتسجل لنا تطور الإنسان من البدائية و الحيوانية إلى الحضارة، وكيف تمكن "حي" بفطرته الفائقة من الارتقاء بالمعرفة من الحواس و التجربة إلى المعرفة العقلية القائمة على نتائج ومعطيات ما جربه، وخبره في عالم الكون والفساد حتى خلص إلى الحكمة الشرقية.

تروي لنا القصة ولادة كائن هو "حي بن يقظان" هذا الكائن الذي يقدم لنا ابن طفيل فرضيتين حول ولادته، الأولى شرعية من أب وأم، والثانية طبيعية. ومع ذلك فإن الرواية السائدة تقول أن "حي" قد ولد تولدا جسديا مألوفا من أم هي شقيقة ملك إحدى الجزر الهندية و من أب هو قريب لها اسمه يقظان كانت شقيقة الملك قد تزوجته خفية عن شقيقها الذي منعها من الزواج، وعندما وضعت المرأة طفلها خشيت من نقمة شقيقها الملك، فوضعت الطفل في تابوت و ألقته في البحر. حملت الأمواج التابوت حتى ألقته على ساحل جزيرة مجاورة هي جزيرة الواقواق.

وصادف أن مرت في المكان الذي استقر فيه التابوت ظبية كانت تبحث عن ابنها الذي فقدته فسمعت صوت بكاء الطفل فاتجهت نحوه، و كان أن عثرت على "حي" الولد فأرضعته وحضنته.

يكبر حي وتمر حياته في مراحل: أما الأولى تكون ببداية التفكير لديه، و أول ما يلفت النظر في تربية حي بن يقظان هو ذلك الحنان الذي تضفيه الظبية على حي، تبدأ المرحلة برضاعة الظبية له وحضنتها له ومعاشرته لها، حتى بلغ السابعة:"كانت معه لا تبتعد عنه إلا لضرورة الرعي، وألف الطفل تلك الظبية حتى كان إذا هي أبطأت عنه اشتد بكاؤه، فطارت إليه.....و كانت هي ترفق به وترحمه وتحمله إلى مواضع فيها شجر مثمر، فكانت تطعمه..... ومتى عاد اللبن أروته،و متى ظمئ إلى الماء أوردته، ومتى ضحا ظللته، ومتى خصر ادفأته .....". [1]

وأخذ بمحاكاة الحيوانات وتقليد أصواتها وحركاتها:" فمازال الطفل مع الظباء على تلك الحال، يحاكي نغمتها بصوته..... و كذلك كان يحاكي جميع ما يسمعه من أصوات الطير و أنواع سائر الحيوان، محاكاة شديدة لقوة انفعاله لما يريده....." [2]

والمحاكاة من نتائج النظر والمراقبة والملاحظة، فقد باشرها مند طفولته مقلدا الحيوانات والطيور في دفاعها وكسائها، "كان ينظر إلى جميع الحيوانات فيراها كاسية بالأوبار و الأشعار و الريش. وكان يرى ما لها من سرعة العدو وقوة البطش، وما لها من الأسلحة المعدة لمدافعة من ينازعها.... ثم يرجع إلى نفسه، فيرى ما به من العري، وعدم السلاح، وضعف العدو، وقلة البطش عندما تنازعه الوحوش...."[3] فاتخذ له بدل قرونها وأنيابها عصيا وبدل وبرها كساء من أوراق الشجر أو من ريش الطير." اتخذ من أوراق الشجر

[1] – أبو بكر بن طفيل : حي بن يقظان، موفم للنشر، تقديم زواوي بغوره، ص 37، 38.

[2] – المصدر نفسه:ص 38.

[3] – المصدر نفسه: ص 39.

العريضة شيئا، جعل بعضه خلفه، وبعضه قدامه، و عمل من الخوص والحلفاء حزام على وسطه.... واتخذ من أغصان الشجر عصيا.... كان يهيش بها على الوحوش المنازعة له".[1]

ترمز هذه الأحداث إلى فرادة حي عن سائر المخلوقات الطبيعية وذلك من خلال رغبته في التواصل عبر فعل المحاكاة، وهي أولى مراحل الوعي، و كذلك استشعاره خصوصية جسده إذ وجبت تغطيته، كما لاحظ أنه يفتقر إلى وسائل الحماية الذاتية كباقي الحيوانات التي تمتلك مخالب على سبيل المثال،ما حمله على اصطحاب عصا يدافع بها عن نفسه.

فأولى مراحل الوعي بالذات ستتمثل في وعيه بفرادة جسده واختلافه عن باقي الحيوانات "وبقي على ذلك برهة من الزمان يتصفح أنواع الحيوان والنباتات، ويطوف بساحة تلك الجزيرة، و يتطلب هل يرى أو يجد لنفسه شبها بحسب ما يرى لكل ولد من أشخاص الحيوان والنبات أشباها كثيرة،فلا يجد من ذلك شيئا". وعند مقارنته بين جسمه وباقي الحيوانات سيجد أن جسمه يفتقر إلى أبسط المقومات التي من شأنها أن تقيه حرارة الشمس وقرص البرد " فكان يفكر في ذلك ولا يدري سببه".[2]

في بادئ الأمر جاء وعيه بجسده من خلال شعوره بالنقص إزاء الحيوانات الأخرى، ثم شيئا فشيئا بدأ يكتشف ما لأعضاء جسده من وظائف، ورأى كيف أن يده تتميز بخصائص عجيبة مقارنة بغيره، فغير رأيه فيما يخص شعوره بالنقص، ويرى بذلك" نبل قدره عند نفسه بعض نبالة، ورأى أن لديه فضلا كثيرا على أيدي تلك الحيوانات"[3]. وهكذا من خلال الاختلافات يكتشف حي خصائص جسده.

---

[1] – حي بن يقظان: المصدر السابق ،ص 40.

[2] –المصدر نفسه ، ص 39.

[3] – المصدر نفسه، ص 41.

إلا أن موت الظبية يعتبر نقطة تحول في حياة "حي" إذ يكتشف لأول مرة لغز الموت، وهنا يبدأ صراعه مع الحياة والبيئة ومع نفسه، حيث حاول معرفة سبب موتها، تلك الوفاة التي كانت حادثا فارقا في مسيرة حي بن يقظان، إذ حفزته أكثر في اتجاه استكمال اكتشاف ذاته ومعاينة وجوده وفهم ما حل بالظبية عله يستطيع إبراءها وإعادتها إلى ما كانت عليه، فلم يرى في ظاهرها تغييرا فأدرك أن علتها موجودة في عضو غائب عن بصره فعزم على شق صدرها وتفتيش ما فيه " فاتخذ من كسور الأحجار الصلدة وشقوق القصب اليابسة أشباه السكاكين، وشق بها بين أضلاعها، حتى قطع اللحم الذي بين الأضلاع وأفضى إلى الحجاب المستبطن للأضلاع، فرآه قويا".[1] فقوي ظنه بأن مثل ذلك الحجاب لا يكون إلا لمثل ذلك العضو " فمازال يفتش في وسط الصدر حتى ألفى القلب وهو مجلل بغشاء في غاية القوة مربوط بمعاليق في غاية الوثاقة."[2] فشقه فوجد فيه قسمين: الأيمن فيه دم، والأيسر خال، فأدرك أن الظبية، هي في الحقيقة ذلك الشيء المرتحل، و ما جسدها إلا آلة.

ثم نجد أن أبن طفيل قد اقتبس من القرآن الكريم قصة قابيل وهابيل عندما اقتتل الغرابان فقام أحدهما بدفن الآخر وذلك عندما أراد دفن جسد أمه الظبية بعد وفاتها " فحفر حفرة وألقى فيها جسد أمه وحثا عليها التراب".[3] فدفنها تقليدا للطير في دفن موتاه.

وقد قادته هذه العملية التشريحية إلى ما يشبه الوقوف على وجود "روح حيواني " في أجزاء الجسم المختلفة، واعتبر المحرك الأول للكائن الحي، وأنه متى ما انفصل عن الحيوان مات، فهو الذات التي تصدر عنه الإدراكات والحركات، وباكتشافه لفعالية الروح الحيواني "صار الجسد عند كله حسيسا لا قدر له."

[1] – حي بن يقظان :المصدر السابق، ص 46.

[2] – المصدر نفسه: ص 47.

[3] – المصدر نفسه: ص 51.

وهكذا اعتبر الجسم، وإن كان كثيرا بأعضائه وتفنن حواسه وحركاته، فإنه واحد بذلك الروح، الذي مبدؤه من قرار واحد، وانقسامه في سائر الأعضاء منبعث منه".[1]

وقد استفاد من عملية التشريح أيضا، حيث اكتسى بجلود الحيوانات التي يشرحها، واتخذ الخيوط من الأشعار، وعمل الخطاطيف، واتخذ مخزنا وبيتا له، واستألف جوارح الطير واستعان بها على الصيد، واتخذ الدواجن لينتفع ببيضها و فراخها، و اتخذ من صياصي البقر الوحشية شبه الأسنة و كبها في القصب القوي وفي عصي الزان و غيرها كما أنه راض الخيل البرية و الحمر الوحشية.

مع بلوغه سن الثامنة والعشرين، قاده تراكم تجاربه وخبراته واغتناء أفكاره نحو الانتقال من المنزع الحسي إلى التجريد الفلسفي، فأخذ "حي بن يقظان" يتأمل في الكون والموجودات حوله، وبدأ ينضج فكره، فنظر في مختلف الأجسام، و توصل إلى إدراك وحدة الروح في الجسم، و اتفاق مادة الكائنات واختلاف صورها، فتفهم علة الحوادث وسر تباين الأجسام، حيث أخد ينظر في عالم الكون، من حيوان ونبات وجماد.... وينظر في خصائصها ويقارنها، فاستنتج الخصائص المشتركة للحيوانات والنباتات والأجسام التي لا تحس، فرأى أن حقيقة وجود كل واحد منها مركبة من معنى الجسمية، وفي شيء آخر زائد على الجسمية، فأيقن أن هذا الشيء الزائد هو الروح الحيواني الذي يبحث عنه، فاطرح المعنى الجسمي وتعلق فكره بالمعنى الثاني الذي يعبر عنه بالنفس.

[1] – حي بن يقظان: المصدر السابق ، ص 49.

لعل أقدم التعريفات الفلسفية التي تناولت الإنسان وأرادت القبض على جوهره وتحديد ماهيته قد عرفته بأنه "حيوان ناطق" وهو ما ذهب إليه ابن خلدون "إن الإنسان كائن مدني بطبعه" ما يعني أن إنسانية الإنسان لا تتحقق إلا إذا اتصل بمجتمع و نهل من مخزونه الثقافي و الحضاري وتحدث بلغته.

بحسب هذا التصور فإن الإنسان الذي لم يتصل بمجتمع ولم ينشأ في محيط اجتماعي ما يستتبعه ذلك من تهذيب لهذا الإنسان وتطوير وتحسين ملكات عقله وإحساسه وذوقه، وتلطيف أساليب معاملته للآخرين، واكتسابه الطباع الحضارية والثقافية التي يتميز بها الإنسان يكون إنسانا بدائيا لم يصل إلى مرحلة الإنسانية المكتملة.

فالتنشئة الاِجتماعية إذن هي حركة ارتقاء من الطبيعة إلى المدنية وخروج من كهوف الحيوانية والتوحش "أي الوجود الطبيعي" إلى الوجود الإنساني المدني.

وللمعرفة عند ابن طفيل نهج " أما النهج فهو سبل و أسباب الحصول عليها، و هي عديدة: النظر، المراقبة، المحاكاة، الملاحظة، الاكتشاف، المصادفة، الحاجة، التجربة، الاختبار، المقارنة، القياس، الاستنتاج، الحدس، التصوف، أما الصفات فهي مكتسبة و ليست فطرية،و متطورة و ليست ناجزة، متدرجة وليست خالصة، متفرعة متنوعة".[1]

فالمعرفة مكتسبة وليست مخلوقة مع الإنسان، وهذه المعرفة لا تقف عند حد، فهي تتطور وتتدحرج. فحي يرتقي في المعرفة عن طريق الحواس والتجربة إلى المعرفة العقلية القائمة على الاستنتاج من التجربة في عالم الأرض إلى التأمل في السماء والعالم بأسره، خروجا من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة قبل لقائه بأسال.

[1] – الليث صالح محمد عتوم: الفكر الإنساني عند ابن سينا و ابن طفيل ،عالم الكتب الحديث، ط1، 2014، ص160.

وقد أراد ابن طفيل من خلال تناوله عالم ما وراء الطبيعة كشف الوصول إلى الحكمة الإشراقية، باعتبارها حسب رأيه قمة المعرفة الإنسانية، كما أكد ذلك في مطلع قصة حي بن يقظان.

فابن طفيل يثبت لنا مصدرين للمعرفة هما:العقل (الفلسفة) والإشراق (الدين والتصوف) فالعقل يبحث في المحسوسات والطبيعيات، والإشراق يبحث في الإلهيات وفيما وراء الطبيعة.

يقول الدكتور عمر فروخ: " لقد كان اهتمام ابن طفيل بالعالم الطبيعي عظيما جدا، ولكن قصد من تأليف حي بن يقظان أن يبحث في عالم ما وراء الطبيعة بالدرجة الأولى".[1]

وعند النظر في سيرة حي بن يقظان نجد أن "حيّا" قد استطاع أن يحيط يكل شيء عن الوجود من أدنى الأجسام المادية، إلى أرقى درجات الصور الروحانية، عن طريق العقل، حتى طلب معرفة الله ... وعرف الله عن طريق الكشف والمشاهدة بإشراق نور الله على القلب.

وللوصول إلى هذه المعرفة يبين ابن طفيل أن حيا لم يسلك سبيل التعلم، فهو لم يكن قد التقى بأبسال، بل سلك سبيلا آخر هو التأمل، وذلك باعتبار أن التأمل هو أسلوب من أساليب المعرفة، حيث أن المعرفة الإنسانية في نظره ليست مقصورة على معطيات الحواس.

يقول عبد الحليم محمود:" يرى ابن طفيل أن كمال ذات الإنسان و لذتها و سعادتها إنما هو بمشاهدة الموجود الواجب الوجود على الدوام، مشاهدة بالفعل أبدا حتى لا يعرض عنه طرفة عين، لكي توافيه منيته وهو في حال المشاهدة بالفعل، فتتصل لذته دون أن يتخللها ألم". [2]

[1] – عمر فروخ: ابن طفيل وقصة حي بن يقظان، سلسلة دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط 2، بيروت، 1950،ص 14.

[2] – عبد الحليم محمود: فلسفة ابن طفيل، ص 54، 55.

ثم نجد أن ابن طفيل استطاع أن يجعل من حي بن يقظان الإنسان البدائي الذي لا خبرة له في الحياة، ولم يسبق له أن التقى ببشر أن يحلق بفكره نحو فاطر السماوات والأرض، عندما جعل يبحث عن سر وجود الكائنات التي احتك بها وتعامل معها، فقادته فطرته الفائقة إلى أن العالم من صنع خلق أزلي سرمدي وهو المهيمن على كل ما في هذا الوجود.

ويدرك حي بعد أن يتفاهم مع أبسال، أن ما توصل إليه حي إدراك لحقائق الوجود والكون بالعقل، وما ورثه أبسال عن طريق النبوة.إن هو إلا وجهان لحقيقة واحدة أن الكون واحد والخالق واحد وهو رب السماوات والأرض وصانع الموجودات، قد نصل إليه عن طريق التأمل الذاتي كالأفراد، ولكن الجماعات بحاجة إلى طريقة أبسال في ضرب الأمثال الحسية لمعرفة ذلك، لأنه لا قدرة للعامة على إدراك الحقيقة المجردة، التي قد يصل إليها أصحاب التأمل الذاتي والنظر العقلي، والخليقة بحاجة إليها للوصول إلى معرفة الخالق.[1]

ابن طفيل يبين لنا إمكانية النفس الإنسانية من إدراك قيمتها ووعيها باختلافها وتميزها، وتعد العزلة الفضاء الضروري واللازم لممارسة هذا الوعي.

ومن هنا سلك حي تلك الحال وخاض التجربة الروحية الخاصة التي يعيشها الصوفي ويدرك في وضوح تميزها واختلافها عن تجاربه الأخرى وأداته القلب الذي يمكن أن نسميه مركز الوعي السامي أو الحاسة الكونية التي تختلف اختلافا جوهريا عن العقل في أية حاسة من الحواس البدنية. وهكذا نرى بوضوح أن الحكمة الإشراقية توافق التصوف فهي النتيجة في الكشف و المشاهدة ولكنها تخالفه في الطريقة.

[1] – الليث صالح محمد عتوم: الفكر الإنساني عند ابن سينا و ابن طفيل ، ص174 .

الخاتمة

لقد لخص ابن طفيل فلسفته في رسالته التي تحمل قصة حي بن يقظان ،وتعد هذه الرسالة الأثر الوحيد المتبقي له، وقد عرض من خلاله منهجه في الاستدلال على وجود الكليات على الجزئيات، وبطريق الفطرة والعقل والتأمل أي بفضل بعض المبادئ القبلية ،فابتدأ بالحديث عن إنسان مغيب عن أي تأثير بشري وعالج في رسالته الفلسفية عدة قضايا ،وأراد منها بث أسرار الحكمة الإشراقية.

وفي النهاية لا يسعنا إلا أن ندرج جملة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، والتي لا تدعي بحال أنها قد أتمت هذا البحث ولكن حسبها أنها حاولت واجتهدت، ولعل من يأتي بعدنا يتمّم النقص ويضيف الجديد الذي لم نصل إليه. ويمكن أن ندرج هذه النتائج في ما يلي :

1- تعرض ابن طفيل إلى مسألة العقل والنقل من خلال قصته الشهيرة "حي بن يقظان" حيث تصور إنسانا يعيش في جزيرة معزولا دون أن يتلقى علما عقليا أو عقيدة دينية، ولكنه عرف ذاته وهذا مطابق للاعتقاد الديني معتمدا على ملكاته الخاصة.

2-حي بن يقظان هي قصة رمزية تتناول حياة الإنسان في بحثه عن الحكمة وحقيقة الوجود لتبقى روحه معلقة بالجانب الإلهي وحده.

3-حي بن يقظان هو رضيع القي به في جزيرة نائية، تراه "ظبية" من حيوانات الجزيرة ،فترضعه وتحنو عليه حتى نشأ معها وأصبح يحاكيها في أصواتها وحركاتها، وتعلم ستر عورته واستعمال العصا للدفاع عن نفسه وحماية طعامه.

4- شكل وفاة الظبية محور تحول في حياة "حي" حيث قام بتشريحها فبدأت تتكون عنده المعرفة عن طريق الحواس والتجربة.

5- اكتشاف النار وتعرف على استخداماتها وطريقة إعدادها، ثم توصل إلى استنتاج وجود الروح الحيواني في الجسم.

6- كما أخذ "حي" يتصفح جميع الأجسام التي هي في عالم الكون والفساد، فتعرف إلى الوحدة والكثرة في الجسم والروح، واكتشف اتفاق الكائنات في المادة واختلافها في الصور، ثم لاحظ الأجسام وتفهم علة الحوادث.

7- ولم يتوقف هنا بل راح يرصد الفضاء، متطلعا إلى ما فيه من كواكب وأفلاك ، ويتفكر في مسألة قدم العالم وحدوثه وما يتعلق بهذه المسألة من قضايا الروح والله تعالى، وبهذا فقد شكلت الطبيعة جزءا هام في تشكل معرفة حي وتطورها للوصول إلى معرفة الله.

وأخيرا عند متابعتنا سيرة "حي بن يقظان" نجد أن حيا قد استطاع أن يحيط بكل شيء عن الوجود من أدنى الأجسام المادية وأصغرها إلى أرقى درجات الصور الروحانية عن طريق العقل الذي أعياه فأصبح متصوفا وعرف الله من خلال المشاهدة والكشف. أما كيف حصل على هذه النتيجة، فبوثوب العقل إلى نتيجة التأمل الذي خضع له العقل زمنا طويلا قبل ذلك من غير شعور بأنه قد مر بمراحل طوال إلى أن وثب إلى تلك النتيجة المعينة.

الملحق

قصة حي بن يقظان:

هذا الفيلسوف الأندلسي ابتكر شخصية صارت أشهر منه، حتى صار يعرف بها، "هي شخصية حي بن يقظان ليس في مخلوقات الله حي ولا يقظان، ولكن هذه الشخصية صارت في شهرتها، وفي شأنها أكثر حياة من الأحياء فكأنما انتقل الحي من عالم الوهم إلى عالم الواقع، ودرج على الأرض بشرا سويا. وقد ابتكر ابن طفيل شخصية حي وجعله يتيما لعله أدرك أن ذلك يعمق إنسانيته، ويحفز نفسه وفكره، ويؤهله إلى المهمة الفكرية الصعبة التي يعدها له. وهي أن يحمل ويعبر عن أسرار الحكمة المشرقية، ذلك المذهب العقلي الذي يعتقد أن بوسع الإنسان، سليم الفطرة دون أي تدخل من فكر أو أحد، أن يرتقي بنفسه من المحسوس إلى المعقول. وأن يصل بقواه الطبيعية، التي منحها له الله إلى معرفة الله في كل شيء، وإلى إدراك وحدانيته، ومعرفة العالم معه وقوانين العلم، ونظم العمل ومبادئ الأخلاق".[1]

يقول ابن طفيل: إن سلفنا الصالح، رضي الله عنهم، ذكروا أن حي بن يقظان وجد في جزيرة الهند، التي تحت خط الاستواء، هناك يتولد الإنسان من غير أم وأب.

ومن الناس، كما يقول ابن طفيل، من أنكر ذلك، وروي من أمره خبرا قال: أنه كان بإزاء تلك الجزيرة جزيرة عظيمة متسعة الأكناف، عامرة بالناس، يملكها رجل شديد الأنفة والغيرة، وكانت له أخت ذات جمال فعضلها ومنعها الزواج، إذ لم يجد لها كفؤا. وكان له قريب يسمى يقظان فتزوجها سرا، وحملت منه، فلما خافت أن يفتضح أمرها وضعت طفلها في تابوت أحكمت زمه، بعد أن أروته من الرضاع، وخرجت في أول الليل فقذفته في اليم، فصادف ذلك جري الماء بقوة المد، فاحتمله المد من ليلته إلى ساحل جزيرة أخرى، وكان المد يصل في ذلك الوقت إلى موضع لا يصل إليه بعد عام، فأدخله الماء بقوة إلى أجمة ملتفة الشجر، مستورة عن الرياح والمطر محجوبة عن الشمس، ثم أخذ الماء في النقص، فبقي التابوت في ذلك الموضع وتراكمت بعد ذلك الرمال حتى

[1]–شاكر مصطفى : اليتامى في التاريخ، سلسلة أوراق من التاريخ، ط2، 1997م، ص68.

ردمت مدخل الماء، وكانت مسامير التابوت قد فلقت عند رمي الماء إياه في تلك الأجمة، فلما اشتد الجوع بذلك الطفل بكى فوقع صوته في أذن ظبية فقدت طلاها، فتتبعت الصوت حتى وصلت التابوت، ففحصت بأظلافها حتى طار عن التابوت لوح من أعلاه، فحنت الظبية عليه وألقمته حلمتها، ومازالت تتعهده وتربيه، فقد ألف الطفل تلك الظبية وألفته فكانت لا تبعد عنه إلا لضرورة الرعي، ولم يكن بتلك الجزيرة شيء من السباع فتربى الطفل، وتدرج في المشي والتغذي من الشجر المثمر، حتى ألفته الوحوش بدورها وألفها، وحكى أصواتها، وكان قد بلغ سبع سنوات حين لاحظ أن الحيوانات كاسية، وأنه هو عاري، وأنها تدافع عن نفسها، وهو أعزل، فاتخذ من ورق الشجر سترة، ومن عصيها ما يدافع به عن نفسه. وبدأت ملحمة المعرفة الذاتية تنمو عند الطفل حين رأى ان الظبية تسكن حركتها أمامه وتموت. وبكى وصرخ وهو لا يعرف لذلك سببا، ولاحظ أنه إذ أغمض عينيه لا يرى وإذ سد أذنيه لا يسمع، ففتش في أعضاء الظبية الظاهرة عما يعيق حركاتها وحياتها فلم يجد، فعزم على شق صدرها ليعرف العلة.

ولما جاف جسد الظبية تعلم ابن يقظان أن يدفنه حين رأى غرابا يدفن آخر، ثم اكتشف النار وكيف تحرق الأشياء، وتصفح الأجسام في عالم الكون والفساد، فعرف أوصافها وحركاتها. وبينما كان حي يكبر وينمو كان اكتشافه للمعرفة ينمو معه ويكبر وانتقل من العالم الحيواني إلى العالم الروحاني بالمنطق العقلي، وعرف مبدأ السببية، ثم عالم الأفلاك ثم اكتشف حدوث العالم إلى أن انتهى إلى معرفة الواجب الوجوب وإلى وحدانيته، وإلى تنزهه سبحانه عن الجسمانيات.

كان حي قد صار أثناء ذلك رجلا وقد غني عن ذاته وعن جميع الذوات الأخرى ولم يرى في الوجود إلا الواحد الحي القيوم. وعرف أن حقيقة ذاته هي ذات الحق.

ويكمل ابن طفيل قصته، بقصة سلامان وأسال، وهما فتيان من جزيرة مجاورة نشأ على ملة صحيحة وقام بجميع ما تقضي به وتفقها بالشريعة فأما أسال فكان اشد غوصا على الباطن والمعاني الروحية، وأما سلمان فاشتد احتفاظا بالظاهر وبعدا عن التأويل والتأمل، وتعلق الأول بطلب العزلة، والثاني بملازمة الجماعة وسمع أسال بجزيرة حي فأجمع أن يرتحل إليها.

وقد دهش ابن يقظان أن يرى شبيها له، ولم يكن يرى إنسانا من قبل، واقتفى أثر أسال الذي هرب وأخذ في الصلاة، وراقبه حي ثم اقترب منه، فعرف أسال أنه لا يتكلم فقرر أن يعلمه اللغة والدين التماسا للأجر وعرف منه قصته وما وصل إليه من المعرفة بذاته فدهش أن يتطابق ذلك مع معتقده في الله ووحدانيته وملائكته ورسله واليوم الآخر وجنته وناره، وعرض عليه الانتقال معه إلى الجزيرة المجاورة. وانتقلا بإحدى السفن، وكانت العودة إلى المجتمع فشلا كاملا لحي بن يقظان، لأن أهلها انصرفوا عن ابن يقظان الذي انتهى إلى اليأس وانقطاع الرجاء من الناس ومن أن يفهموه.

قائمة

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش

أولا– المصادر:

- أبو بكر بن طفيل : حي بن يقظان، موفم للنشر، تقديم زواوي بغوره

ثانيا: المراجع:

- إبراهيم باجي: ديوان ليالي القاهرة، قصيدة " عاطفة" ، دار العودة، د ط، بيروت، 1973م.
- ابن الرومي: ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب و الوثائق، ط3، ج3، القاهرة، 2003م.
- ابن السعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف ، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1964.
- ابن خفاجة: ديوان ابن خفاجة، تحقيق السيد مصطفى غازي، منشأ المعارف، الإسكندرية، د ط، 1870.
- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مصر، ج1، د ط، 1955م.
- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1964.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار المعارف، د ط، القاهرة ، 1995.
- أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب، مج2، تح: عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، د ط، مصر، القاهرة، ج13.
- أبو شادي أحمد زكي: ديوان الشعلة "متى مت"، ط1، 1933م.
- أبو نواس: ديوان أبو نواس، تحقيق وشرح سليم تحليل قهوجي، دار الجيل، دط، بيروت، 1425هـ، 2003.
- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تح: انس محمد الشامي، دار الحدث للطباعة والنشر د.ط، مصر، القاهرة، 142هـ، 2008، مادة (حي).
- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، ج1، د ط، بيروت، لبنان، 1968م.
- أحمد بن نعمان: المفتاح قاموس عربي أبجدي مبسّط، د ط .

- أحمد عيوني: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2001.
- الأصمعي: الخيل: تحقيق حاتم صالح الضامن، دار السائر للطباعة والنشر، ط2، 2009.
- الأعشى: الديوان، دار صادر للطباعة والنشر، د ط، لبنان، 1960.
- امرؤ القيس: ديوان امرؤ القيس، دار صادر، د ط، بيروت، 1958.
- أوس بن حجر : ديوان أوس بن حجر ، دار صادر، د ط، بيروت، 1967.
- أيوب بن موسى الكفوي: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، لبنان، بيروت،1419هـ،1998م..
- البحتري: ديوان البحتري، تحقيق وتعليق كامل الصيوفي، دار المعارف، مصر، د ط.
- الجاحظ: كتاب الحيوان، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، دار النشر، ط2، 1384هـ/1965م.
- جرير: ديوانه، شرح أسعد أحمد علي، دار صادر، ط2، بيروت، 1425هـ، 2005.
- الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، مج6، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990.
- حسنى عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي، قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، ط1، مصر، القاهرة، 1421هـ، 2001م.
- حسين عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي، قضاياه وفنون ونصوص، ط1، مصر، القاهرة، مؤسسة المختار للطباعة والنشر 200/1421م.
- ديوان النابغة الدبياني: شرح عناصر الحي، الخطيب البزيري.
- ديوان النابغة: شرح عناصر الحي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1991.
- ديوان امرؤ القيس: شرح: عبد الرحمن المصطفاوي: ط2، لبنان، بيروت، دار المعرفة، 2004،1425.
- ديوان طرفة بن العبد: شرح وتقديم مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، لبنان، 2002.
- زغلول راغب محمد النجار: من آيات الاعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، ط1.
- زواوي بغوره :حي بن يقظان، دار موفم للنشر،د ط، الجزائر، 2011 .
- سعيد الشبلي: الإنسان بين القرآن والعرفان، مكتبة حسين العصرية، ط1، 2010، 1431.
- الشريف الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان، طبعة جديدة ، 1985.

- عبد المجيد النجار: عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي، مجلة المسلم المعاصر، العدد 72/71، سنة 1994.
- علي بن محمد الجرجاني: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، د ط، لبنان، بيروت، ناشرون،1985م.
- علي محمد محمد الصلابي: المعجزة الخالدة، دار المعرفة.
- عمر فروخ: ابن طفيل وقصة حي بن يقظان، سلسلة دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط 2، بيروت، 1950.
- فوزي عيسى: الأدب الأندلسي، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، د ط، 2015م.
- قاموس، عربي عربي: دار البرهان، القاهرة، طبعة جديدة، د ط، .
- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج22، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006.
- كمال الدين محمد بن موسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، .
- كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
- الليث صالح محمد عتوم: الفكر الإنساني عند ابن سينا و ابن طفيل ،عالم الكتب الحديث، ط1، 2014، .
- محمد أمين جبر: الإنسان والخلافة في الأرض، دار الشروق، ط1، 1419،1999هـ.
- محمد عباسة: الموشحات الأندلسية والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر الثروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، ط1، مستغانم، الجزائر، 1433هـ، 2012م.
- محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية.
- محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، دار الثقافة للطباعة والنشر، دط، بيروت.
- محمد محمود عبد الله: القرآن وعالم الحيوان، ط1، دار الشواف للنشر والتوزيع.
- محمود محمد البنهاوي وآخرون: علم الحيوان، دار المعارف.
- مصطفى الشكعة: دار العلم للملايين، ط4، بيروت، لبنان، 1979.
- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ، دار الكتاب العربي، د ط،2008 ، بيروت ، الجزء 3.
- مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، ط2، 1416هـ/ 1996م.

- معجم اللغة العربية: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 1425هـ/2004، مادة (حي).
- نصرت عبد الرحمن: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحزين، دار المعارف، د ط، القاهرة، مصر، .
- نور الدين السد: الشعرية العربية، دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- يوسف كرم: الطبيعة وما بعد الطبيعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2014.
- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د ط، القاهرة، مصر، 2012.

ثالثا– المذكرات :

- عمر عليوي: أسماء الحيوان في القرآن الكريم– دراسة دلالية ومعجم– شهادة الماجستير، جامعة سطيف، 2011-2012م.

رابعا– المجلات و الدوريات:

- أحمد حسن الزيات: اتجاه الأدب الحديث، مجلة الرسالة تاريخ، 1952/07/21، العدد 994.
- أحمد حسن الزيات: اتجاه الأدب الحديث، مجلة الرسالة تاريخ، 1952/07/21، العدد 994.
- حسين الباش: الإنسان في ميزان القرآن، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.
- حسين شرفة: خلافة الإنسان في الأرض في صور القرآن الكريم، مجلة الأحياء، العدد الثاني.

خامسا: المواقع الإلكترونية:

الإعجاز في الطبيعة www.kaherl7.com

الإعجاز في الطبيعة www.kaherl7.com

محمود خالد القنا، الطبيعة المتحركة في شعر ذي الرمة:

(www.wata.cc/fowns/show thread. Php.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ- ج
مدخل الفلسفة الإسلامية	13-1
أولا : نشأة وتطور الفلسفة الإسلامية	1
1-الفكر العربي قبل الإسلام	2-1
2-الفكر العربي بعد الإسلام	5-3
3-الفلسفة الإسلامية (جذور النشأة)	8-6
ثانيا : ابن طفيل الأندلسي	9
1-نسبه ومولده	9
2-نشأته العلمية	9
3-مؤلفاته	10
4-تأثيره في الفلسفة	13-11
5-وفاته	13
الفصل الأول : الطبيعة	
تمهيد	14
أولا : الطبيعة في القرآن الكريم	17-15
1-البحار والأنهار	17
2-السحب والمطر	17
3-الرعد والبرق	18
4-الجبال	19-18
ثانيا : الطبيعة في الفلسفة اليونانية	20
1-الطبيعة عند أفلاطون	20
2-الطبيعة عند أرسطو طاليس	20
ثالثا : الطبيعة في الشعر	22

1-الطبيعة في العصر الجاهلي	24-22
2-الطبيعة في العصر الأموي	25-24
3-الطبيعة في العصر العباسي	27-26
4-الطبيعة في الأندلس	31-27
5-الطبيعة عند المحدثين	33-31
رابعا : الطبيعة في حي بن يقظان	43-34
الفصل الثاني : الحيوان	
تمهيد	44
أولا : الحيوان	44
أ- التأصيل اللغوي	46-44
ب- التحديد الاصطلاحي	48-47
ثانيا : الإنسان	49-48
1-النشأة الإنسانية الأولى	50-49
2-خلق الإنسان	51-50
3-تكريم الإنسان في ذاته	53-51
ثالثا : الحيوان في القرآن الكريم	55-54
1-الحيوان وعدد ذكره في القرآن الكريم	61-55
2-قصص من القرآن الكريم	62
أ- لمحة عن قصة الغراب	62
ب- لمحة عن قصة الناقة	64-62
ج- لمحة عن قصة النملة	65-64
رابعا : الحيوان في التراث العربي	66-65
1-الحيوان في الشعر العربي	69-66
2-الحيوان في الأمثال	70
أ- الابل	70

ب- البغل	71
ج- الفيل	71
د- البقرة	71
3-الحيوان والكتب العربية	74-72
خامسا : الحيوان في حي بن يقظان	82-75
الخاتمة	84-83
ملحق : ملخص قصة حي بن يقظان	87-85
قائمة المصادر والمراجع	92-88
فهرس المحتويات	95-93

ملخص:

يشكل نص " حي بن يقضان" لابن طفيل نقطة تقاطع بين مجموعة كبيرة من النصوص المتعددة ذات دلالات فلسفية ودينية وطبيعية، شغلت حيز كبير في هذه الرسالة.

بحيث كان عنصر الطبيعة والحيوان من العناصر المهمة التي ساعدت حي بن يقضان في بلوغ مرحلة التصوف والسعادة وبهذا فقد شكّل هذا النص التراثي تحفة تتعالى على الزمن.

الكلمات المفتاحية: دلائلية، الطبيعة، الحيوان، قصة بن يقضان